**مشروع الأمة الحضاري**

**هذا مشروع وسطي يشكل بارقة أمل لتشكيل ائتلاف وطني يجتمع على رؤية تنبذ الغلو والتطرف وتتعامل بحكمة لإنقاذ مصر من ديكتاتورية عمياء أو نفق مظلم**

**بعد ترشح السيسي عجلت بإنهاء هذا المشروع لعله يكون هدف الفوز للربيع العربي في الوقت الضائع بإذن الله، فيجب توحد القوى حوله قبل فوات الأوان**

**إن لم تسارع القوى الثورية والوطنية والإسلامية لتصحيح المسار والتوافق على مشروع وقيادة فَلْنبك ثورتنا ونرض بواقعنا فكفى دماء وطفولة سياسية أمام شياطين، فالاستقرار في ظل حاكم ظالم أو متخلف أهون من فقد الاستقرار وفتنة الهرج**

**أرسل تعليقك** [**hbahnihy@hotmail.com**](mailto:hbahnihy@hotmail.com)

**د/ حمادة أحمد البهنيهي**



المحتويات

[إهداء 3](#_Toc383000608)

[حتمية الائتلاف وسياسته 4](#_Toc383000609)

[فكرة المشروع التوافقي 5](#_Toc383000610)

[كلمة للفيلسوف كولن 7](#_Toc383000611)

[هوية الأمة الوسطية 8](#_Toc383000612)

[الحق والباطل 11](#_Toc383000613)

[أولياء الله وأولياء الشياطين 13](#_Toc383000614)

[استراتيجية الكذبة الكبرى 16](#_Toc383000615)

[الحاجز النفسي ودوره في تشتت الأمة 18](#_Toc383000616)

[فلسفة البناء الحضاري 19](#_Toc383000617)

[البناء الاقتصادي وحكم الضرائب 21](#_Toc383000618)

[اللامركزية الإدارية 23](#_Toc383000619)

[الإدارة الديمقراطية واستراتيجية فريق العمل 24](#_Toc383000620)

[مراكز تطوير الذات والمهارات 27](#_Toc383000621)

[استراتيجية العلاقات الدولية 28](#_Toc383000622)

[صفات القيادة الناجحة 30](#_Toc383000623)

[الغلو والتشتت في الدين 32](#_Toc383000624)

[السلفيون وفتنة العقيدة 33](#_Toc383000625)

[آفة الفقه السلفي 37](#_Toc383000626)

[السلفيون ومكانة العقل 41](#_Toc383000627)

[السلفية الجهادية وفكر القاعدة 44](#_Toc383000628)

# إهداء

إلى الذين يبكون مصر ودماء الشهداء

إلى الرافضين أن تحترق مصر أو تعود للوراء

...

إلى ثوار عظام أسقطوا طاغية

إلى الطامحين في حضارة مصرنا الغالية

...

أكملوا الثورة ولا تتركوا الأفاعي تتلاعب بنا

وتوحدوا في ائتلاف ينقذ شعبنا ومصرنا

قبل أن نبكي دما ثورتنا وشهداءنا

أقدم هذه الرؤية للنخب الوطنية في توقيت حرج وأؤكد لهم أن شعبنا عظيم وله أصول حضارية وإذا التف حول رؤية وقائد نظيف اليد يجمع الأمة على الوسطية ويحسن الإدارة الديمقراطية ولديه دهاء سياسي فلا يتلاعب به أعداء الثورة سيحقق لهذه الأمة نهضة حضارية غير مسبوقة

[عودة للقمة](#_top)

# حتمية الائتلاف وسياسته

عاشت أمتنا واقعا مزريا وعاش شعبنا الفقر والضياع بسبب عصابة في الداخل تحتكر السلطة والثروة وعصابة في الخارج تحتكر أسباب الحضارة وتفرض علينا الضعف والتخلف، فلما عجزعن التغيير السلمي قام بثورة عظيمة، لكن العصابة اعتمدت [استراتيجية الكذبة الكبرى](#_استراتيجية_الكذبة_الكبرى) فتلاعبت بالشعب وزيفت الحقائق ودمرت مرسي ويمكنها تدمير أي رئيس ينازعها العزبة، فمعها ملفات وتستغل أخطاء وتطلق إشاعات ومن ورائها عصابة عالمية ومنظمات دولية تساهم في المكر والبلطجة من أجل مصالحها، فالأمم المتحدة نفسها ساهمت في المكر بقادة البوسنة ودعت لنزع السلاح من الطرفين فنزعوا سلاح البوسنة وتركوا الصرب فقاموا بمذبحة سربرنيتشا وقتل فيها 10000 بوسني.

عجز الرئيس مرسي عن مواجهة الغلو الديني والليبرالي لجمع الشعب على رؤية وسطية تزيل مخاوفه وتستوعب طموحه، وعجز سياسيا عن مواجهة مكر أعداء الثورة، ويكفي أن عبد المجيد محمود أوهمه بإمكانية ترك منصبه والذهاب للفاتيكان فصدقه، رغم أنه طفل في نظام مبارك وتباهى يومها بذلك، فكيف بالمخابرات، وكيف بأمريكا التي أوهمت صدام حسين بإمكانية غزو الكويت ثم دمرت دولته، إن الطيبة مع الأعداء سذاجة، ونحن نرى مخططا دوليا لدمار مصر، فالإخوان ليس في منهجهم ولا مقدورهم تدمير مديريات أمن واغتيال قيادات شرطة فهي جماعة مخترقة ومكشوفة لنظام مبارك وأكد على ذلك أخيرا محمد حبيب نائب المرشد لكن النظام لا يملك إلا اتهام الإخوان لأنه دخل طريق اللاعودة، كما تقوم منظمات حقوقية بإيهام الإخوان بالأمل في عودة مرسي وأن الانقلاب في مأزق ليزهدوا في إخوانهم وتظل القوى مشتتة فينتهوا من الإخوان ثم يفترسوا الباقين، فيجب ألا نكون كأطفال دخلوا غابة مليئة بحيوانات ماكرة ومفترسة ولا يدرون شيئا عن الغابة وطبيعتها.

والذين خرجوا في 30/6 افتقروا أيضا للحس السياسي ولم يدركوا أنها ضربة قاضية للثورة ولدولة القانون، فمحاكمة وعزل رئيس منتخب حق لبرلمان منتخب ولا يحق لوزير الدفاع التدخل في صراع سياسي ولا يحق للمعارضين التمرد على رئيس منتخب ولا المطالبة بإعادة الانتخابات فجورج بوش هبطت شعبيته بعد حرب الخليج إلى 16% ورغم ذلك أكمل دورته، هذه أصول الديمقراطية وبداية طريق التحضر، فعلى القوى الثورية والوطنية والإسلامية إدراك حجم العصابة والتواصل لا من أجل محاسبات في توقيت حرج بل لتشكيل ائتلاف وطني له رؤية واضحة ومجلس أمناء ثورة وقائد، فثورة بلا قيادة عبث تتلاعب به العصابة.

لن يتمكن فريق بمفرده من التغيير لا بتفاوض من وراء الستار ولا بثورة، وإذا نجح فريق بثورة ستتعامل العصابة مع الآخر لتدميره، وسواء تمسك الإخوان بالرئيس مرسي أملا في عودته أو تمسكا بالمبدأ فهذا قرار خاطئ وقاتل في توقيت خطير فكفانا سوء حسابات فالأمل في نجاح الثورة بعد الله في وحدتنا، فيجب أن يتنازل الرئيس مرسي لجمع الشمل، فيأذن هو أو جماعته بانتخاب رئيس توافقي للائتلاف لوقف خارطة طريق مدمرة تسير بخطى عمياء أخذت الضوء الأخضر من اللوبي اليهودي ولن تفلح التحركات الدولية، لقد أثار حسن نصر الله قضية شهود الزور وأشار إلى أصابع الموساد في مقتل رفيق الحريري ولا يستمع إليه أحد، فالتعويل على التحركات والمنظمات الدولية سراب وخديعة، والمجتمع الدولي أساتذة في الخداع، فلا نعول إلا على وحدتنا وإلا سنبكي مصرنا الحبيبة دما ونخضع لقبضة حديدية أو يأخذنا الله بذنوبنا كما حدث لدول حولنا "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ".

على الائتلاف بعد توافقه على مشروع أن تتمتع قيادته بحنكة سياسية تسعى لإنجاح الثورة ووقف الاعتقالات والإفراج عن المعتقلين ونزاهة الانتخابات سلميا، فحقن الدماء غاية عظيمة وقد امتن الله على المسلمين بفتح مكة سلميا فقال تعالى "وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ" وفي هذه الحالة عليه أن ينتخب مرشحا للرئاسة على غرار انتخابات الحزب الجمهوري والديمقراطي قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية أو يدعم قائد الائتلاف للتمكن من منافسة مرشح الثورة المضادة، أما انتخابات في جو اعتقالات وإرهاب بلا ضمانات فتعطي شرعية لحكم يدمر الثورة ويعيدنا للقمع والفساد فهذا لا يقبله إلا البلهاء وعاشقو الظلام ويفرض علينا استمرار الثورة حتى يكون "مجلس أمناء الثورة" له شرعية ثورية يستطيع بها تطهير الدولة من الفساد وفرض مشروعه الحضاري.

# فكرة المشروع التوافقي

يفسر المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي نشأة الحضارة بنظرية "التحدي والاستجابة" فإذا واجه المجتمع تحديا بالزوال قد يغلب عليه رغبة ملحة لتخطي الصعاب فيستغل المُبدِعين من الأفراد أو القادة المُلهَمين التخوف وطاقة الفرد والمجتمع فيبلورون مشروعا حضاريا تقتنع به النخب، ثم تستجيبُ لهم الأكثريَّة.

هذا المشروع يمثل أرقى أيديولوجية توافقية وأرقى استراتيجية سياسية. أغلبية شعبنا وسطي يحب الدين ويبغض التطرف، ولكن هناك أصابع خبيثة تستغل التطرف الديني والليبرالي لتكريس صراع هوية، فهذا المشروع يبلور [هوية وسطية](#_هوية_الأمة_الوسطية_1) تحقق تآلفا وتماسكا وطنيا يليق بشعبنا الحضاري وديننا الوسطي الذي وحد العرب بعد أن كانوا قبائل متناحرة يتلاعب بهم يهود يثرب "لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" أي فيه عزكم وشرفكم.

منذ عام 1975 وأنا أحاور التيارات الإسلامية والعلمانية لبحث جذور الخلاف فأكثر العلمانيين ليسوا في خصومة مع دينهم ولكن مع الغلو والتطرف، ورغم أني بدأت سلفيا إلا أني أدركت في الفكر السلفي غلوا وأخطاء تبرر التخوف منهم، فلما وجدتها تهدد الثورة بذلت وسعي وجمعت أبحاثي لصياغة مشروع يواجه الغلو ويستفيد من علوم العصر وحضارة الغرب، ولا أزعم لهذا المشروع الكمال فهو جهد فردي يحتاج فريقا من الباحثين لاستكماله لكنه يشكل نواة وبارقة أمل لجمع شمل الطامحين في إنجاح الثورة فأتمنى دعمه واستكماله والارتقاء فوق حظوظ النفس والرؤى الضيقة، وأن نحذر عملاء يذكون الخلافات والأحقاد والتخوفات لمنع أي تقارب.

يقول توينبي (هناك طريقتان لمواجهة التحدي: سلفية وتقدمية) وقد ثبت لي بعد طول خبرة صحة هذا القول، فالفكر السلفي يؤصل تقديم النقل على العقل حتى عرف بعضهم السلفي بأنه الذي يقدم النقل على العقل، وهذا يوحي للسلفي أن النقل قد يتعارض مع العقل وعليه أن يكون مع النقل فيكفر بمنطق العقل إن وجد تعارضا رغم أن سبب التعارض سوء فهم وأصابع منافقين أدخلت في النقل ما ليس منه، وهذا جهل ب[مكانة العقل](#_مكانة_العقل) ودوره في تنقية التراث وتمييز الظني من القطعي وفهم دلالات النقل القطعي الثبوت لتحقيق مقاصد الشريعة.

إن الاستعداد لإلغاء العقل أوقع السلفيين في جمود وأخطاء أحدثت [فتنة في العقيدة](#_السلفيون_وفتنة_العقيدة) و[قصورا في الفقه](#_آفة_الفقه_السلفي) وأفرز تخوفا مسيحيا وليبراليا من حكم قاصر فشكل رصيدا ثمينا لعاشقي الفساد، لكن هذه الأخطاء تراكمات سنين وأصابع منافقين لا تشكك في إخلاص السلفيين، ويكفي أنهم لما حاصر الشياطين قصر الرئاسة اعتصموا بمدينة الإنتاج الإعلامي حرصا على مبدأ تداول السلطة كأهم مكتسب للثورة رغم مآخذهم على أداء الرئيس فحجموا الشياطين، فكانوا للإخوان كالأنصار للمهاجرين ينصرون الحق المتمثل في الشرعية لا يريدون جزاء ولا شكورا، إلا أن كيد الأعداء تضاعف وأحسنوا استغلال الأخطاء وزرع الفتنة، لذا آمل أن يصحح السلفيون المسار، وينزل الله سكينته عليهم ويلزمهم كلمة التقوى فهم أحق بها وأهلها ليكونوا عصب [ائتلاف وطني](#_حتمية_الائتلاف_وسياسته) واضح الرؤية فيفتح الله بهم فتحا مبينا ولن تجتمع الأمة على ضلالة.

هذا المشروع يؤصل الروح الوطنية لكل مسلم ومسيحي بأدلة شرعية من هدي نبينا صلى الله عليه وسلم ذكرناها في [هوية الأمة](#_هوية_الأمة_الوسطية)، وهو مشروع علمي يعتمد [أرقى نظم الإدارة](#_اللامركزية_الإدارية) و[استراتيجية فريق العمل](#_استراتيجية_فريق_العمل)لتحقيق ثورة إدارية ومواجهة الأزمات وتطوير المؤسسات والشركات و[استراتيجية دولية](#_استراتيجية_العلاقات_الدولية_1) لتحقيق حضارة غير تصادمية مع الغرب فندعو الأحزاب وكافة القوى للتعليق عليه واستكماله ثم تشكيل "مجلس أمناء ثورة" يتبناه، ثم يختار المجلس قائدا.

شرفاء الشعب والجيش والشرطة وحتى أعضاء في الحزب الوطني كان يحزنهم مافيا فساد مدمرة، وقد قالها لي عميد شرطة أيام مبارك بعد التحقيق معي في شكوى كيدية، لكن واجبهم حماية النظام من الانهيار، فلا ينبغي إسقاط نظام حتى يتبلور مشروع توافقي بديل.

هناك فرق بين العدالة والانتقام، فالتحقيق في مذابح الانقلاب وقتلى الجيش والشرطة أمر حتمي لمعرفة المجرمين، ولكن من العدالة مراعاة شبهة التورط بالإكراه أو التأويل لتماسك النظام، فالتأويل يجعل القتل شبه عمد، وفي (التشريع الجنائي الإسلامي) لعبد القادر عودة حكمه الدية المغلظة فيدرأ القصاص للشبهة المتمكنة فى القصد وتغلظ الدية لشناعة الجرم، لذا أجل سيدنا علي القصاص من قتلة عثمان وقاتل المطالبين به ليراعي بعد الاستقرار الملابسات وشبهة التأويل حفاظا على الخلافة من تعيين الأمويين خشية عودة شوكتهم التي سقطت بفتح مكة، فلا عدالة مع الضغوط وشهوة الانتقام.

هناك من يستغل شعار القصاص لتماسك الجيش والشرطة في صراع وجود يهدد مصر بالمشهد السوري المظلم، لذا يجب انتظار تحقيقات عادلة مع إعطاء أولياء الدم حق العفو بلا ضغوط، ويجب تغيير هتاف (يانموت زيهم يانجيب حقهم) الذي يوحي بأنها ثورة انتقام ليكون (يانموت زيهم يانحقق حلمهم) لتكون ثورة استشراف مستقبل حضاري وتآلف وطني وعدالة حقيقية.

[عودة للقمة](#_top)

# كلمة للفيلسوف كولن

الفيلسوف التركي فتح الله كولن أستاذ المدرسة الفكرية لرجب طيب أردوغان كتب عام1994م مقالا يقول فيه (بتصرف واختصار):

إن أشد الفترات تأزمًا في حياة الأمم هي فترات التغيّر الاجتماعي لإعادة تشكيل بنائها، فهي تشبه حال الأحياء في مرحلة "التحول البيولوجي" فتعاني آلاما وأوجاع مخاض، ولكنها تحمل أملا في مولود جديد وفرصة للرقي والتألق، ولكن إن تجاهلت عمليةُ التخطيط والبناء "الثوابتَ" فستزداد الأزمة تعقيدًا، وقد تنتهي بسبب جشع أو اندفاع المتمركزين في القمم إلى انهيار لما تم بناؤه.

إن الفرد قد ينسلخ من حالته ويتقمّص "سيكولوجية الجماهير"، ويندفع كالسيل الهادر نحو اتجاه واحد بلا بصيرة، والذي تعرض لتحوّل ذهني كهذا لا يعمل بعقلية الفرد المتثبّت الممحّص، بل يندفع اندفاعا ويقع في أخطاء تدمر أهدافه ثم يندم وقت لا ينفع الندم.

إن المبادرات السامية تسمو بأبنائها، فإذا نجحوا أن يقدّموا العقل والعلم والتجربة على السلوك الحماسي، وأن يحيطوا مشاريعهم بأنوار الرسالة الربانية فستدخل الحشود تحت تلك الحركة الحكيمة وتلتقي مع أرباب الاستقامة والاعتدال، ويتسامون إلى مرتقى عال، وإذا كانت وشائج الارتباط بين أبناء الأمة وتاريخها وثيقة فسوف تتفاعل مشاعرهم القلبية بمشاعر أجدادهم النبلاء، ويحققون بطولات تضاهي بطولاتهم، ويبدعون في تطوير أنظمة ورؤى عصرية تؤثر في كل بقاع الأرض.

إنه من الأهمية بمكان الحفاظُ على روح الأمة وهويتها، وعدم إتاحة الفرصة للتفكير الفوضوي الذي يثير الجماهير ويدعوهم إلى تصرفات عشوائية تجرف الأمة نحو عواقب مأساوية، فينبغي التنبيه والتصدي لهم حتى لا يعبثوا بمقدرات الأمة؛ وبالمقابل ينبغي توجيه الأنظار إلى المخلصين الذين تلمح فيهم التواضع ونكران الذات بدل السعي وراء الشهرة والمناصب، والإيثار بدل الاستئثار، والحرصَ على مصالح المجتمع بدلاً من المصلحة الذاتية.

إننا نقف اليوم في مفترق طرق وعلى "ملتقى قدَري"، فأي فكرة ينبغي أن تُزوَّد بالعلم والخبرة والتخطيط حتى لا نقع في دائرة مفرغة من الهدم والبناء، فقبل أن نهدم بنيانًا يكون "نموذج البنيان الجديد" معدا فنَهدم لِنَبْني، وإذا استطعنا أن نستثمر المرحلة بأفكار عظيمة ورؤى بعيدة وعزيمة كعزيمة الأنبياء، فإن فرصتنا أسنح بكثير بالمقارنة مع الأمم الأخرى، وسيبزغ نجمنا متألقًا في الآفاق.

[عودة للقمة](#_top)

# هوية الأمة الوسطية

يرى هنتنجتون في "صدام الحضارات" أن الحضارة كيان ثقافي وأنها أوسع تجمع للهوية الثقافية لشعب، فصراع الهوية يعوق الحضارة فلابد من هوية وسطية تجمع شمل الأمة فتحترم ثوابتها ودينها وتطلعها نحو التحضر وتعتز بوطنها وتاريخها. قال الفيلسوف الأمريكي ديورانت في مقدمة موسوعته "قصة الحضارة": (سنبدأ قصة الحضارة من الشرق .. وسيدهشنا أن نعلم كم مخترعا من مخترعاتنا وكم من نظامنا الاقتصادي والسياسي وما لدينا من علوم وآداب وما لنا من فلسفة ودين يرتد إلى مصر والشرق) ويقول (إن الذين يعتزون بأوطانهم من أهل الغرب سيشعرون بمأساة وهم يطلعون على قصة الحضارة)

كانت أمتنا عزيزة متماسكة لا تعرف العنصرية الدينية ولا يجرؤ أحد على أرضها ودمائها وأعراضها، وقد أهدى آردوغان للرئيس الفرنسي ساركوزي هدية ليذكره بفضل تركيا على بلاده بسبب تعاليه ورفضه انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، وكانت الهدية رسالة كتبها السلطان العثماني سليمان القانوني عام 1526م ردا على استغاثة ملك فرنسا به لما وقع أسيرا في يد الأسبان، وكان يطمئنه بأنه سيخلصه من الأسر، وبالفعل أرسل إليه قوة عسكرية حررته. هذا السلطان نفسه أذن ليهود أسبانيا بالهجرة إلى بلاده هربا من محاكم التفتيش التي كانت تخير اليهود والمسلمين بين دخول النصرانية أو القتل، وأعطى اليهود كامل حقوق المواطنة لكنهم تغلغلوا في المناصب وتآمروا حتى أسقطوا الخلافة، قال الكاتب الأمريكي وليام غاي كار في "أحجار على رقعة شطرنج" إن فكرة فصل الدين عن الدولة التي سبقت إسقاط الخلافة بدوافع قومية كانت من عمل اليهود، كما تنبأ سرجي نيلوس الذي سرب بروتوكولات حكماء صهيون بعد اطلاعه عليها سنة 1901م بسقوط الخلافة قبل قيام دولة إسرائيل (أساليب الغزو الفكري لعلي جريشة ص37).

نحن لا ننكر وجود مظالم في تاريخ أمتنا، لكننا نرفض التشويه، كتب حاقد على موقع (الحوار المتمدن) يهاجم عمر بن الخطاب لأنه لما دخل القدس فرض على النصارى جزية وتجاهل أنه أمّنهم على دمائهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأن الأمير ريموند حين دخلها في الحملة الصليبية الأولى 1099م قتل الرجال والنساء والأطفال وسار وسط أشلاء المسلمين بصعوبة بالغة وقد بلغت الدماء ركبتيه بشهادة المؤرخ ستيفن رنسيمان، كما تجاهل أن صلاح الدين حين دخلها سنة 1187م أعطى الصليبيين الأمان ولم ينتقم مما فعله ريموند.

أكثر الليبراليين ليسوا في خصومة مع دينهم الوسطي ولكن يخشون سوء التطبيق، فشعبنا يعظم دينه ويعلم أنه دين الحق والعدل والإصلاح، ونحن نرى الأمة حين يهاجم رسولها أو قرآنها، وإنك تجد الرجل منغمسا في المعاصي لكنه يعلم أن عزه وعز أمته في القرب من الله ويسأله أن يتوب عليه. البعض عادى مرسي لإنه لم يطبق الإسلام، والبعض كان يخشى ضعفه أمام [الغلو السلفي](#_آفة_الفقه_السلفي) كما حدث عند إقرار المادة 219، أو همجية باسم النهي عن المنكر أو تورط الدولة في حرب دينية غير مبررة أو محسوبة، أما الذين لا يؤمنون بالله ولا يعرفون عظمة دينه فكرهوا ما أنزل الله وشرحوا بالكفر صدرا فهم قلة منبوذة يبكيها أقرب الناس إليها.

إن غلو السلفيين أخاف كثيرين من الشريعة، فتهميشهم [مكانة العقل](#_مكانة_العقل) أمام ظني الثبوت والدلالة مع وجود نماذج حكم إسلامي قاصر صنع تخوفا من الهوية الإسلامية، فنبينا صلى الله عليه وسلم كان رحمة مهداة ولم يكن فظا غليظا، لقد هم بتحريق بيوت تاركي صلاة الجماعة لكنه لم يحرق ولم يجلد لأن الصلاة لا تقبل ممن يؤديها خوفا من عقوبة دنيوية، ومع ذلك وجدنا من يجلدهم رغم أنه لا اجتهاد مع وجود سنة ثابتة عنه صلى الله عليه وسلم فلن نغار على الدين أكثر منه، قال تعالى "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ".

الإسلام يحترم حقوق المواطنة، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب وثيقة المدينة وفيها أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل الوثيقة وبينهم النصح والتناصح، فكان صلى الله عليه وسلم يريد لليهود كامل حقوق المواطنة لتماسك الجبهة الداخلية لولا أن نقضوا عهدهم ودعموا الأحزاب للقضاء على دولة الإسلام، فالمسيحيون أقرب لنا مودة ورحمة فهم أولى بحقوق المواطنة ولهم الانضمام للائتلاف ومجلس أمناء الثورة وحق النصح والتناصح إذا احترموا ديننا ووثيقة الائتلاف ولم يتآمروا على الدولة، وقد ذكرنا في الرد على [فكر القاعدة](#_السلفية_الجهادية_وفكر) أن البراء من المشركين براء من المحاربين فقط بنص القرآن.

قال تعالى "قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"، ونحن نجد الإسلامي والمسيحي والعلماني في مقار العمل يتحاورون ويتعاونون، والمسيحيون عاشوا مع المسلمين لهم ما لنا وعليهم ما علينا، والمنافقون سخروا من الصحابة ونزل فيهم "لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ" وصدوا عن تطبيق الشريعة ومع ذلك لم يقتلوا ونزل فيهم "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا"، ومع ذلك نجد تصريحات قاصرة لسلفيين تخيف النصارى والعلمانيين من الهوية الإسلامية.

الوسطية هي التي تجمع الأمة، فالغلو يقابل بغلو مضاد فنظل في دوامة خلافات، عبد الحليم قنديل كان يدعو لفصل الدين عن السياسة، وفي نفس الحلقة ذكر لمنتصر الزيات آيات قرآنية فقال "وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا" فالخوف من الغلو والفكر الشاذ وراء غلوه، ولا يحق لأحد منع مسلم أو مسيحي من الاستشهاد بكتاب الله وما فيه من آيات الله والحكمة.

مصر دولة مدنية ديمقراطية اختار شعبها تطبيق الشريعة بحكم إيمانه واحتفظ بحقه في اختيار رئيسه وبرلمانه فيرد المسائل التشريعية لأهل العلم في مجلس الشيوخ ليناقشها كل في تخصصه وفيه لجنة الشريعة، ثم يصوت البرلمان على مشاريع القوانين، وهذا يناسب كثرة الاختلاف لبعدنا عن عصر النبوة فعصمة الأمة في اجتماعها "لا تجتمع أمتي على ضلالة" وليست بإمام معصوم كالشيعة فما جعل الله العصمة لأحد ([فلسفة البناء الحضاري](#_فلسفة_البناء_الحضاري)).

والبعد القومي أصيل في هويتنا، فأمتنا تتوق للوحدة العربية لتعيد للأمة عزتها في عصر التكتلات والوحدة الأوروبية، والرابطة القومية لا تمنع من رابطة العالم الإسلامي، أما من يريدونها بديلا لها، ومن لا يرون إلا رابطة الإسلام فهم جهلة، فهناك ما يربط المسلم ببني وطنه وقومه وجيرانه وإن كانوا على غير ملته ماداموا غير محاربين له في الدين بشرط ألا يدعو لعصبية منتنة بالانتصار لها بالباطل على حساب الحق.

إن مشروع الوحدة العربية لابد له من خطوات حكيمة ومراعاة مصالح وسيادة الدول، يبدأ المشروع باتحاد كونفيدرالي مع بعض دول الجوار بتشكيل لجان تنسيق بين وزارات كل دولة من أهل الخبرة والثقة ليكون التنسيق مكسبا لها لا عبئا عليها، وإذا نجحت اللجان وأبدت الدول رغبة في تطويرها يمكن تحويلها إلى اتحاد فيدرالي على غرار ما حدث للولايات المتحدة، ففي عام 1776م تشكل اتحاد كونفيدرالي بين الولايات، وبعد إحدى عشرة سنة تحول إلى اتحاد فيدرالي، وكل الاتحادات الكونفيدرالية انتهت إما بحل الاتحاد بسبب فشله في تحقيق مصالح الدول أو تحويله إلى اتحاد فيدرالي (مبادئ علم السياسة د/ عثمان الرواف).

[عودة للقمة](#_top)

# الحق والباطل

أيها الإنسان ما أضعفك أمام عذاب الله وما أجهلك "وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ" حياتك تنغص إن كنت مهددا بالقبض عليك من ضابط شرطة يراك مجرما في حق النظام، فكيف إن كنت مهددا بملائكة تراك مجرما في حق المنتقم الجبار الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته "وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ" فزعوا من الملائكة تأتيهم من مكان قريب فحاولوا الإفلات فلا فوت من قبضتهم.

هناك نفوس تحب الحق ويؤلمها الظلم وأحوال الأشقياء والتعساء، وهناك نفوس تعشق المال والسلطة والسيادة لا تتورع عن القتل والظلم، وهناك إمعات ليس لهم في السيادة نصيب لكن ينبهرون بالقوي ويفتنهم استضعاف أهل الحق ولا يفهمون سنن الله في خلقه، يعبدون أصحاب السلطان خوفا وطمعا، فالحلال ما أحله علماء السلطان والحرام ما حرموه، كذبوا على أنفسهم، يعرفون حقيقة شركهم يوم القيامة "ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ"، دخل عدي بن حاتم على رسول صلى الله عليه وسلم فسمعه يقول "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" فقال يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم، فقال صلى الله عليه وسلم "ألم يحلوا لهم الحرام فاستحلوه ويحرموا عليهم الحلال فحرموه فتلك عبادتهم إياهم".

أهل الباطل يريدون السيادة واحتكار الثروة والسلطة، فتمكينهم يجعل المجتمع مليئا بالفتن، فينتشر الفقر والظلم والفساد، وينشروا اللهو والشهوات لتدمير الإيمان والبصيرة فيسهل التلاعب بالشعب "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ"، كما ينشروا الفتن الطائفية ليتخوف الشعب بعضه من بعض فلا يجتمع ضدهم، كما يهاجموا أهل الحق المطالبين بالحقوق والمبادئ، فيجوع الشريف ويعز اللص والخبيث، وتختل القيم، ويصبح المكر والخداع ذكاء والتمسك بالحلال والقيم ضياعا ويعبد كثير من الناس الطاغوت، وهو كل من يحب أن يُعبد خوفا من بطشه وطمعا في نعيمه، وقد اشترط الله قبل الإيمان بالله الكفر بالطاغوت "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا".

الله سبحانه هو الحق المبين وهو العليم الخبير، أراد تمكين أهل الحق لتزول الفتن ويرى الناس الحق من الباطل فلا تختل القيم ولا يكون هناك طاغوت يُعبد، فيدين الناس لله "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ"، لذا هناك صراع أزلي بين الحق والباطل، فيتهم أهل الباطل أهل الحق بأنهم طلاب سلطة، ويتصيدوا زلاتهم ويشهروا بنواياهم، فاتهموا نبينا الكريم أنه يريد الشرف والسيادة وقالوا عن سيدنا نوح "مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ"

فلسفة الحق والباطل يفهمها أولوا الألباب الذين أنار الله بصيرتهم، فالحق سبحانه يريد تمكين أهل الحق لإقامة مجتمع بلا فتن ولا فقر ولا فساد، فيرى الناس الحق من الباطل ومنهج الله من منهج الشيطان، ولا يشك منصف أن نظام مبارك كان فاسدا ظالما يبيع مصر وينهب خيراتها ويعين الفاسدين برواتب خيالية رغم وجود قطاع كبير تحت خط الفقر، ولاشك أن الراغبين في إنجاح الثورة وإقامة دولة العدل والقانون هم أهل حق، فعلى المخدوعين أن يتوقفوا عن خداع النفس فالحساب عسير وعذاب الله شديد، وليجاهدوا لإقامة الحق والعدل وإنقاذ المستضعفين "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا".

ماذا ننتظر، تعذيب بشع واغتصاب طالب أزهري، وقضاء يحكم على طلبة وطالبات تظاهروا ب5 سنين سجن و100 ألف جنيه غرامة، وأم تبكي بحرقة على ابنتها السجينة لأنها تسمع عن تعذيب وانتهاك أعراض، فهل 30/6 آخر المظاهرات الحلال، ألا يغار المسلمون على أعراض طالبات الأزهر في السجون وسط الذئاب وقد شهد محمد بدر مصور الجزيرة على تعذيب وانتهاك أعراض وتكسير عظام، أين شيخ الأزهر، ألا نخشى أن ينزل علينا صاعقة من السماء أو يحل بنا سخط الله وغضبه.

النائب العام يحيل مرسي للتحقيق في مقتل 2 أمام قصر الاتحادية رغم أن القتلى 10 فيتجاهل 8 لأنهم إخوان، إعلام يتجاهل مذبحة ومحرقة واعتقالات وصعق كهربي ويركز على مقتل ضابط أو جندي لا يعرف أحد قاتله وبلا أدلة يتهم الإخوان لتبرير القتل والاعتقال، والمضللون يفهمون في كل شيء ويطلبون دليلا على كل شيء ولكن لا يطلبون دليلا على إرهاب الإخوان لأنه وافق هواهم وأشبع غليلهم فاستمعوا لأكاذيب الشياطين ([استراتيجية الكذبة الكبرى](#_استراتيجية_الكذبة_الكبرى)) "وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ"

عصابة ورطت نفسها في دماء رابعة والنهضة وتخشى من نجاح الثورة، فالأمر أصبح بالنسبة لها حياة أو موت ولابد من إكمال السيناريو لنهايته وإن كان فيه دمار مصر وقتل نصف الشعب، لابد من تزييف الحقائق والإنفاق على الإعلام لإقناع الشعب أن الإخوان جماعة إرهابية فيرضى الناس بحكمهم، لابد من عمليات إرهابية لبلطجية تنسب للإخوان حتى أصبح هذا موسم البلطجية والإعلاميين فيخدعون أنفسهم ويمكرون لدخول سوق المليارديرات "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"

الإنسان لابد له من وقفة مع نفسه هل هو مع الحق أم مع الشيطان قبل أن يأتيه الموت وتنقطع عنه الأسباب، فالذي يتعامى عن الذكر الذي أنزله الله يتبعه شيطان يزين له سوء عمله "وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ".

# أولياء الله وأولياء الشياطين

الله سبحانه لا يخفى عليه خافية ولا شيء يعجزه، قادر على الانتقام من أعدائه "ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ" فهي سنة الابتلاء "أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ"، أراد الله أن يختبر الناس بعضهم ببعض "لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ" كما أراد أن يخفي أفعاله خلف سنة الأسباب فيعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويبتلي من يشاء بما يشاء بالأسباب فيرى المؤمن يد الله تدبر الأسباب فيصبر عند الشدة ويشكر عند النعمة ولا يرى الكافر والمنافق إلا الأسباب فيفتتن بها ويلتبس عليه الحق بالباطل "وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" وفي لحظة واحدة يجد الإنسان مقعده من الجنة أو النار "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك" فصاحب ياسين الذي قتله المشركون لم يخبرنا الله أنهم قتلوه ولكن قال سبحانه "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" أراد الله أن يدخله الجنة فتركهم يقتلوه.

الولي هو القريب المحب، فالإنسان إما أن يكون وليا لله يحبه وينصره وينصر الحق أينما كان أو وليا للشيطان "إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ" والله يتولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور فيبتليهم بذنوبهم ليطهرهم منها إن لم تذهبها الحسنات حتى يكونوا أهلا للنعيم الأبدي "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ" والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وهو كل من طغى فأحب أن يعبد من دون الله ومنهم الحاكم الذي لا يحكم بشرع الله ويحب أن يطاع خوفا من بطشه وطمعا في ماله ونعيمه "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ".

العاقل لا يتخذ غير الله وليا "قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا"، فالله كاف عبده "أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ" وهو سبحانه نور السماوات والأرض، والتقرب إليه بعبادته وتلاوة كتابه ينير النفس بالعلم والحكمة والخشية فتسمو فوق ظلمات الشهوات والأحقاد، فترى وتتعامل بنور الله ومنهجه لا بأهوائها، وفي الدعاء "اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً .." فهذا النور يقول ابن القيم تراه الملائكة لأنها من جنسه ثم يكون مع العبد في قبره وعلى الصراط، وفي الدنيا يجد به حلاوة العبادة فيستزيد من ذكر الله وعبادته، وبدوام ذكر الله والتفكر في نعمه وإحسانه وقوته وسلطانه تزداد المحبة والهيبة، فالقلوب مفطورة على محبة الملك القوي الذي لا شيء يعجزه، والذي يتفضل عليه بإحسانه ويتجاوز عن زلاته رغم قدرته، والمحبة أصل الولاية فهي تجعل القلب مع الله يحب طاعته ويبغض معصيته، ثم يفنى مراده في مراد محبوبه، قال ابن القيم في (مدارج السالكين) من حقق هذا الفناء فهو لا يحب ولا يبغض إلا في الله، ولا يوالي ولا يعادي إلا فيه ولا يعطي ولا يمنع إلا له، فيكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه، وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه ونزواتها بمراضي ربه وحقوقه وهذا هو توحيد الإلوهية الذي دعا إليه المرسلون وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله الخليقة.

وقد اشترط الله لنصرة أوليائه موالاة الذين آمنوا وهو سبحانه يعلم أنهم بشر يخطئون ويصيبون "وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" وموالاتهم تكون بمحبتهم ونصحهم في الله وتذكيرهم بتقواه والتماس الأعذار لهم "وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ" وقد تبرأ الله ورسوله من الذين فرقوا دينهم ولم يوال بعضهم بعضا "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ" فليتق أهل الحق ربهم وليزيلوا خلافاتهم لينالوا رضا الله وتأييده، فبدون موالاة المؤمنين تكون الفتن ويكون العبد على خطر عظيم في الدنيا والآخرة.

إن استحلال معصية الله كفر، فالمؤمن معصيته كمعصية آدم "قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" فهو يؤمن بكمال الله لكن يعصيه عن ضعف أمام شهوته ثم يندم ويستغفر، أما من ناقش أمر الله الصحيح الصريح وطعن في حكمته فمعصيته كمعصية إبليس، ظن أنه أفضل من آدم قياسا على أفضلية النار على الطين فرفض الأمر فلعنه الله. وهناك منزلة بين الكفر والإيمان وهو المسلم الذي لم يدخل الإيمان قلبه وظلم نفسه بالمعاصي بلا توبة فهو في مشيئة الله إن وجد فيه خيرا ابتلاه وأحسن خاتمته وإن شاء عذبه في جهنم على قدر معاصيه ثم تكون نهايته الجنة إن مات على التوحيد لأنه على خطر عظيم وقد يقع في الكفر فالشياطين تتولاه ثم يحشرهم الله جميعا "فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ" ثم يناديهم "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ" أي أضللتم كثيرا من الإنس "وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا" أي قال أولياء الشياطين لقد استمتعنا بالمال الحرام والشهوات واستمتع الجن برؤيتنا في الضلال نذنب ولا نبالي حتى جاء أجلنا "قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ" فيخرج منها بعد طول عذاب من مات على التوحيد، وفي صحيح البخاري قال ابن مسعود "المؤمن يرى ذنوبه كجبل يوشك أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فطار".

الظالم لنفسه قد يقع في الكفر حين يبتلى لأنه يعبد الله وهو شاك "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ" وقد يقع في الشرك فيعبد أحدا مع الله فيخلد في نار جهنم، وقد لا يخرج عن الملة وهو المقصود في قوله تعالى "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا" فالظالم لنفسه هنا من المصطفين ومآله إلى الجنة ولو ناله ما ناله من العذاب بسبب ظلمه لنفسه كما قال الشنقيطي في أضواء البيان، فالمقتصد والسابق بالخيرات من أولياء الله ولكن الظالم لنفسه وإن كان نهايته الجنة فهو ليس من أولياء الله، قال ابن تيمية في كتاب الفرقان (فالظالم لنفسه هو صاحب الذنوب المصر عليها، والمقتصد هو المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم، والسابق بالخيرات هو المؤدي للفرائض والنوافل، فمن تاب من ذنوبه توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين) وقال (وأولياء الله على "طبقتين" سابقون مقربون وأصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز).

[عودة للقمة](#_top)

# استراتيجية الكذبة الكبرى

اهتم الباحثون بكلمة هتلر (أوصلتني الدعاية للحكم وبالدعاية نحافظ على مركزنا وبها نغزو العالم) فقاموا بتحليل الدعاية النازية أثناء الحرب العالمية الثانية حيث قال هتلر في كتابه (كفاحي) إن الكذبة الكبرى إذا تم ترديدها ترديدا كافيا سوف تصدقها الجماهير جزئيا على الأقل، فهناك نسبة من الناس تفتقر لسعة الأفق اللازم لإدراك أن كثرة الترديد لا تعني الصحة.

لقد طبقت مافيا مبارك هذه الاستراتيجية بقناة الفراعين فرفعت أصوات شفيق، ثم طوروها لمحاربة الإخوان، سواء أخذوها عن هتلر أم أنهم يفوقون هتلر الخبث والدهاء، قالوا إن مرسي باع قناة السويس، وقالوا باع حلايب وشلاتين للسودان وباع سيناء لحماس ب8 مليار دولار دفعتها أمريكا لخيرت الشاطر ثم وجدنا مصر ملكا للمصريين، قالوا إنه عميل لحماس ولإسرائيل، وقالوا يأخون الدولة والسيسي ومحمد إبراهيم إخوان وقد تآمرا عليه، وقالوا يعين أهل الثقة لا أهل الخبرة وقد عرض هشام قنديل وزارة النقل على المهندس المسيحي هاني عازر الذي أسس بألمانيا أفضل سكك حديد في العالم.

نظام مبارك يعلم جيدا أن جماعة الإخوان سلمية وكان دائما يتعامل معها بدون اعتراف رسمي بها إلا أنه أراد أن يجعلها إرهابية حين نافستهم العزبة فشوه الحقائق:

نسبوا لهم قتل السادات والذهبي، رغم أن الجماعة الإسلامية التي قتلت السادات حين كانت تتبنى العنف كانت تهاجم الإخوان بسبب سلميتهم ودخولهم مجلس الشعب، وجماعة التكفير التي قتلت الشيخ الذهبي كانت تكفر الإخوان وكل من يجيز العمل بالحكومة.

زعم وزير الخارجية أن منظمة العفو الدولية أكدت وجود سلاح ثقيل في رابعة ثم كذبته المنظمة فاعتذر، وهذه فضيحة لا أدري كيف ابتلعها الحاقدون.

زعموا أنهم يعذبون الناس في رابعة فقاموا بتعذيب رجل وقطع إصبعه ثم أمروه باتهام خمسة من معتصمي رابعة فقال في المحكمة إن الضابط أمره باتهامهم وأنهم كانوا يدافعون عنه ورغم ذلك لم يبرئهم القاضي بل أجل القضية

نشروا فيديوهات تتهم الإخوان بقتل ضباط كرداسة ورمي أطفال من فوق عمارة ولا يوجد في فيديو كرداسة إشارة للإخوان، والذي رمى الأطفال لا يعرف أحد هويته ثم حاولوا تبرئته على أنه مريض نفسي.

قال الببلاوي لا أستطيع اتهام الإخوان بالإرهاب بدون حكم قضائي يدينهم ثم نسبوا له اتهامهم بالإرهاب في اليوم التالي ولا يسأل أحد عن سر هذا التضارب.

إذا تمت انتخابات في ظل تشتت القوى وتمكن المافيا المضللة من الإعلام ومفاصل الدولة سيتوسعون في تطبيق الاستراتيجية وسينفقون ببذخ وستعلو أصوات مرشحهم لأن الشعب مازال فيه نسبة كبيرة لا تتحرى دقة الأخبار وتتأثر بالإعلام، والمافيا لديها معلومات كافية عن كل مرشح وجهاز نشر إشاعات يحسن التخطيط، كما أن إيهام الناس بأنهم متمكنون ولن يسقطوا مع بذل المليارات يفعل الكثير ولا يمكن مواجهته إلا بائتلاف قوي وقيادة توافقية.

الأسس السبعة للاستراتيجية كما جاءت في كتاب (مبادئ علم السياسة) جزء "العلاقات الدولية" للدكتور محمد الحلوة هي:

(1) التواصل بين مسئولي الدعاية للكذب وأجهزة المخابرات ليكون الكذب له أساس في الواقع فيمكن تصديقه

(2) التخطيط والتنفيذ عن طريق جهاز مركزي واحد لتجنب التناقض

(3) تتبع آثار الدعاية على عقول وعواطف الجماهير للتقييم وإعادة النظر في الخطة

(4) التأثير في نفسية ومعنويات العدو لاضطراب سياساته وسلوكه واستغلال هذا الاضطراب

(5) التركيز على الفرق بين ما يردده إعلام العدو من إنجازات وما يجري في الواقع من إحصائيات عن معدل البطالة والتضخم للتشكيك في إعلام العدو ومعلومات قادته

(6) التكرار والترديد بدون ذكر مصادر ليعجز الجمهور عن تتبع مصدر الخبر فيكتفي بكثرة الترديد

(7) التوقيت المناسب لنوع الكذبة لحين وجود واقع يقبل تصديقها

[عودة للقمة](#_top)

# الحاجز النفسي ودوره في تشتت الأمة

التوافق في حاجة إلى حسن ظن وحوار مخلص يحترم رغبات ومخاوف الآخر، وهذا تحد عظيم لصدقنا وتحضرنا، فغياب الثقة يضع حاجزا يعوق التوافق، وتعصب الإخواني لجماعته مع ضعف التواصل مع الآخر يزيد الحاجز. لقد أدركت هذا الحاجز بيني وبين أخ أحبه في الله منذ أكثر من ثلاثين عاما ولم أتخيل يوما أن يفصلنا حاجز، والسبب هو شعوري بانتمائه للإخوان إذ رأيت فيه غلوا وتقديسا للرئيس مرسي وجماعته يعوق الحوار، ولكن الحاجز لم يدم طويلا فقد عصمنا إيماننا والعلم الشرعي والحب في الله.

سبب اهتمامي بالجانب النفسي ارتباطه بتجربة أخرى في العلاقة الأسرية مررت بها وحضرت ندوة في الطب النفسي حولها وسمعت شكوى مريرة من زوجة تشكو هجر زوجها شهورا بلا سبب تعرفه وأنها على وشك الطلاق، ولم يفهم من يجيبها سر الهجران ولم يدلها حتى على الصراحة والتواصل مع زوجها الذي يمر بنفس الحالة النفسية التي مررت بها ولمحتها في كلمات السائلة.

بعيدا عن العامل النفسي الذي يدعو لهجر الزوجة فالذي عصمني منه آية في كتاب الله "وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ"، فقلت لا يجوز الهجر قبل الموعظة، رغم أني كنت مصرا ألا أتحدث حتى تفهم وحدها سبب غضبي، وبعد إدراك سر الآية العظيمة نزلت عن تصميمي إيمانا بعظمة كتاب الله المبارك واضطررت للموعظة، فكان الأمر أتفه مما أتخيل وكان في مجرد الصراحة والتواصل حل المشكلة، كم من عوامل نفسية تافهة دمرت علاقات أسرية واجتماعية وربما دولية، وعلاجها حسن الظن والتواصل.

الحاجز النفسي بلا تواصل يؤصل العداء، فكل إنسان داخله شيطان يمكر ويخطط، لذا حرم الله سوء الظن والهجر، وفي الصحيحين "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا" وفيهما "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال"، وأمر الله المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لهذا أقام الله مجتمعا متآلفا متماسكا لا يسخر فيه أحد من أخيه ويحترم غيبته "لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ".

على جماعة الإخوان أن تحترم حق أعضائها في الاختلاف أو ترك الجماعة ويبقى الود موصولا، وأن تحسن الظن بالقوى الثورية والوطنية فتخوفاتهم أكثرها مبرر بسبب أخطائنا وهم ليسوا في خصومة مع دينهم ولكن مع الغلو والجمود وآن أوان مواجهة الأخطاء وتأصيل الثقة من أجل مصرنا الغالية.

[عودة للقمة](#_top)

# فلسفة البناء الحضاري

هناك حضارات قامت على استعباد الناس وتسخيرهم، ولكن الحضارة التي نقصدها وننشدها هي حضارة القيم التي تمثل قمة التطور الإنساني اجتماعيا وفكريا وسياسيا فتعتمد حقوق الإنسان وكرامته والإدارة الديمقراطية التي تشرك الجميع "وأمرهم شورى بينهم"، فالحضارة بهذا المفهوم منظومة متكاملة لا تصطدم بحضارة الغرب ولكن تنافسها الكمال البشري الذي لا يحتكر القيم الحضارية، فمصالحها تلتقي مع مصالح وحضارة الآخرين ولا تصطدم بها.

المجتمع الحضاري هو الذي يلبي احتياجات أبنائه في كل أطوار وظروف حياتهم، فالحضارة كما قال ديورانت في موسوعته "قصة الحضارة" نظام اجتماعي يساعد الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي وإبداعه في العلوم والفنون، وهي تبدأ حين ينتهي الاضطراب والقلق بفضل نظام سياسي يؤمن الناس على حياتهم وأرزاقهم.

يرى مالك بن نبي أن بناء الحضارة يحتاج نظرة منهجية تعرف عوامل البناء فمعادلة البناء الحضاري: إنسان + تراب + وقت = حضارة، فالإنسان هو المكون الرئيس للحضارة، فإذا أمن على نفسه ورزقه واستثمر قدراته ووقته ووفرت له الدولة إمكانات تعليمية ومادية ومنعت عنه عوامل الهدم التي تشتت فكره وتدمر شخصيته كالفقر والفن الهابط والمخدرات والانحراف والشعور بالظلم فإن عامل الوقت ينشئ حضارة، فالمعادلة في حاجة لتمكين أهل الحق الذين لا يحتكرون الثروة والسلطة لإزالة الفتن واستثمار القوى البشرية والمادية كما ذكرنا في [صراع الحق والباطل](#_الحق_والباطل) فهذا التمكين أساس البناء الحضاري.

ومعادلة البناء الحضاري تحتاج مفاعلا وهو العنصر الأخلاقي، وقد اعتبر مالك بن نبي أي فكرة تبلغ مبلغ الدين عند أصحابها كالماركسية تصلح مفاعلا للمعادلة، لكن ديورانت رأى أن العنصر الأخلاقي يستلزم الإيمان بما وراء الطبيعة، وأن الدين هو الذي يرتقي بالإنسان فوق مراتب البهيمية ويبني نظاما متماسكا، وهذا حق فالإيمان بالله ومحبته وخشيته أصل صلاح الإنسان وعلاج أمراضه وتطوير مهاراته، فالدين يهذب صاحبه ويدعوه للحد من البذخ ويحثه على حق الفقير والمسكين، والدين أساس الخُلُق الرفيع والسلوك الحضاري وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري قال: "كنتُ أضرِب غلامًا لي بالسَّوط، فسمعتُ صوتًا من خلفي (اعلم أبا مسعود .. ثلاثا) فلمَّا دنا مِنِّي إذا هو رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فسقط السَّوْط من يدي من هَيْبَتِه، فقال (اعلم أبا مسعود أنَّ اللهَ أقدَرُ عليك منك على هذا الغلام)، فقلت: يا رسول الله، هو حُرٌّ لوجه الله، فقال -صلى الله عليه وسلم-: (أمَا لو لم تفعل للفحتْك النار)، فقلت: والذي بعثك بالحقِّ، لا أضرب عبدًا بعده أبدًا، فما ضربت مملوكًا لي بعد ذلك اليوم". أما إنسان بلا قيم أو يشعر بالظلم والتهميش بسبب احتكار الثروة والسلطة، أو نظام سياسي بلا مشروع فيغرق شعبه في اللهو ويقتل وقته حتى لا ينتبه لحقوقه، أو يدبر الفتن ليضرب بعضه ببعض فلا يجتمعوا ضده، فلا يكون معه حضارة.

حضارة الغرب عارية في عالم القيم، دخلوا العراق بناء على معلومات كاذبة رغم سماح صدام للأمم المتحدة بالتفتيش وتدمير سلاحه، وهي حرب ظالمة رفضتها الأمم المتحدة، والتزمت بعدم إيذاء المدنيين ثم سقطت قنابل تزن عشرة أطنان على أحياء سكنية ببغداد، كما سُحق الناس في حصار الفلوجة بأسلحة دمار شامل، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان ينهى في الغزوات عن قتل طفل أو امرأة أو عابد في صومعته، كما تنبأ فلاسفة الغرب بسقوط حضارتهم لإهمال الجانب الروحي كما جاء في (سقوط الحضارة) لكولن ولسون، وقال الكسي كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) إن العالم المعاصر يجهل ذات الإنسان الذي تصنع الحضارة من أجله، لذا ظهرت جماعات أصولية في أمريكا من بين دوائر صنع القرار ترى أن أمريكا أغفلت المسار الأخلاقي وتدعو لمنظومة قيم في التعليم والإعلام والثقافة والفن. لقد حاولت أمريكا منع الخمور لدورها في ضعف أداء العاملين وحوادث المرور والاغتصاب وإرهاق ميزانية الدولة في علاج الأمراض المترتبة عليها، فأصدرت قانون منع الخمور عام 1920، لكنها فشلت في تطبيقه فألغته عام 1933، أما في الإسلام فعندما نزل تحريم الخمر بعد بناء عقيدة قوية أريقت الخمر وجرت في طرق المدينة كما في الصحيحين.

ومن عوامل هدم النظام فقدان ثقة الشعب في صناع القرار، فلابد أن تأخذ الدراسة والمشورة حقها قبل إصدار قانون، يجب تشكيل مؤسسة استشارية لكل وزير بشفافية فيتم تحديد درجة علمية تعطي أساتذة الجامعات عضوية في المؤسسة بغض النظر عن الدين والانتماء السياسي، كما يعين فيها وزراء سابقون وخبراء ليثري النقاش ويبلور كل جوانب الموضوع أمام الوزير وتظهر سلبيات وإيجابيات أي خطة أو قرار قبل عرضه على مجلس الشورى لمناقشته، ثم يقره البرلمان بمجلسيه، بهذا نضمن أصوب قرار بعد دراسة أبعاده وردود أفعاله ولا نعطي فرصة لرجل الشارع أو معارض جاهل أن يتطاول بكلام قاصر، وهذه المؤسسات ستُظهر كفاءات يُختار منها الوزراء بعد ذلك.

وكمال السلطة التشريعية أساس في البناء، قال المستشار عمر شريف في كتابه "نظم الحكم في الدولة الإسلامية" (ص101) إنها كانت توكل إلى علماء الشريعة، أما الآن فتقوم بها المجالس النيابية ولا يشترط فيهم شروط تؤهلهم للاجتهاد، فأورد اقتراحا بتشكيل مجلس علماء يستشيره النواب قبل البت في قرار، أرى أن يقوم مجلس الشورى بذلك فتتكون لجانه من أساتذة وخبراء يشترط فيهم درجة الدكتوراه على الأقل أو ما يعادلها ومنها لجنة الشريعة، وتنتخب كل لجنة من أهل تخصصها، قال تعالى "وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ" واشترط الإمام القرطبي للمستشار في أمور الدنيا العلم والخبرة فيما يستشار فيه ولم يشترط العلم الديني (الجامع4/251)، وبعد نقاش اللجنة المختصة لمشروع قانون الحكومة أمام النواب يتم تصويت البرلمان بمجلسيه، ولا يجوز رفض لجنة الشريعة لأي قانون بنصوص ظنية الثبوت أو الدلالة حتى لا نتبع الظن ([آفة الفقه السلفي](#_آفة_الفقه_السلفي)) و([مكانة العقل](#_مكانة_العقل)).

[عودة للقمة](#_top)

# البناء الاقتصادي وحكم الضرائب

الاقتصاد القوي أساس استقلال الإرادة السياسية وأساس الإبداع والتفوق التكنولوجي، وقوة الاقتصاد في كثرة وقوة المشاريع ودوران رأس المال وعدم اكتنازه، وقد شرعت الزكاة على الثوابت المكنوزة القابلة للاستثمار من أجل ذلك، وحرم الربا من أجل ذلك، فالفوائد الربوية تعرقل الاستثمار، وقد تنبه الغرب بعد الأزمة الاقتصادية العالمية إلى أن سعر الفائدة عبء على الاقتصاد. كتب محمد الجوهري في جريد المؤتمر عدد 19 مارس 2013م: (في خطوة غير مسبوقة اتخذ بنك الاحتياط الفيدرالي قرارًا بتخفيض سعر الفائدة في المدى القصير ليتراوح مابين صفر في المائة و0.25% ، في محاولة لمواجهة الأزمة المالية التي أدخلت الاقتصاد الأمريكي نفق الركود)

في عصرنا مع مشكلة الفقر مشكلة النهم الاستهلاكي وتيسير البنوك للقروض الربوية فنشأت مشكلة الرهن العقاري، وفي مقال محمد الجوهري حذر خبير الاقتصاد ويتني تلسون من خطر ذلك، فهناك 4.5 مليون وحدة سكنية في حاجة لأن تباع، و8 ملايين عائلة مهددة بفقد منازلها، وسيكون لذلك آثار سيئة على النظام المالي الأمريكي. من وصايا الإسلام القصد في الفقر والغنى وجعل الله المبذرين إخوان الشياطين، هناك أسر تنفق في وجبة أو سهرة ما يكفي لإطعام عشرات الأسر، قال تعالى "كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ" فتجاوز الحد في الحلال الطيب يوقع في غضب الله، وفي تفسير قوله تعالى "ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر بعد أن أكلا من لحم شاة "والله هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة" والمقصود السؤال عن شكر النعمة وحق الفقير والمسكين. كما نبه الإسلام لخطر الدين، ففي صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم "يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين" وروح الشهيد تحبس على باب الجنة حتى يقضى عنه دينه.

إن بناء الدولة يحتاج إلى الإنفاق في سبيل الله، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى "هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ" والإنفاق في سبيل الله إنفاق لتمكين دولة الحق لتمتلك إرادتها السياسية وهو من مصارف الزكاة، وهذا يدركه المخلصون من المسلمين وعموم المصريين والعرب لأن بناء مصر بناء للأمة، لكن الثقة في الحكومة أساس الإقبال على الاستثمار والصدقات، فالحكومة تقوم بدور الوسيط الأمين والإداري الجيد لمشاريع تدرس جيدا وتعرض للاستثمار، والثقة تأتي من ترشيد الإنفاق الحكومي، وعدم تزاوج رأس المال والسلطة وخضوع المشاريع للرقابة وحسن الإدارة.

أما الضرائب فالأصل فيها التحريم وأنها مكوس (أي ظلم) وقد ذكر الذهبي في السير وابن كثير في البداية والنهاية أسماء كثير من الولاة منعوها لأنها تخالف الشرع ويحرمها العلماء، وسبب التحريم أنها تؤخذ بغير حق وتنفق في غير حق، فتؤخذ من الفقراء والضعفاء ويتهرب منها الأغنياء، كما ينفقها المسئولون في ملذاتهم وأمنهم واستقبال زائريهم وولائمهم، أما الضرائب التي تفرض لضرورة أو خطر يهدد الدولة والخزينة لا تكفي ولا تنفق ببذخ فقد أجازها العلماء وقال الفقيه أبو عبد المعز فركوس على موقعه إن العلماء أجازوها عملا بالمصالح المرسلة وبه قال أبو حامد الغزالي في المستصفى والشاطبي في الاعتصام حيث نصّ على أنّه إذا خلا بيت المال وزادت حاجة الجند وفرض الزكاة لا يفي بما هو لازم يمكن فرض ضريبة غير الزكاة، على قاعدة: ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب، ثمّ إنّ الفرد يغنم من المرافق العامة فعليه أن يدفع ما هو داخل في التزامه عملا بمبدأ: الغرم بالغنم، فهذا النوع من الضرائب الذي يؤخذ بالعدل والقسط فقد أقره فقهاء المذاهب الأربعة تحت تسميات مختلفة.

وفي بحث قيم للدكتور عيسى العمري ذكر تعريفات العلماء للضريبة في الشريعة خلص منها إلى أنها (مقدار محدد من المال تفرضه الدولة لضرورة طارئة مستندة إلى قواعد الشريعة، دون أن يقابل ذلك نفع معين للممول، وتستخدمه الدولة في تغطية النفقات العامة للمواطنين، وهي مؤقتة وليست تشريعًا دائمًا بل تنتهي بانتهاء الظروف التي استوجبتها)

وعن ضوابطها ذكر فتوى الشيخ عز الدين بن عبد السلام للملك قطز في فرض ضرائب للتجهيز لقتال التتار فشرط قائلا: (ألا يبقى في بيت المال شيء وأن تبيعوا ما لكم من الحوائص المذهبة، والآلات النفيسة، ويقتصر الجند على مركوبه وسلاحه). وحين طلب بيبرس من الإمام النووي أن يوقع مع العلماء على فتوى بجواز فرض ضرائب لتجهيز الجيش قال: سمعت أن عندك ألف مملوك لكل مملوك حياصته من الذهب، وعندك مائتان جارية لكل جارية حلي، فإن أنفقت ذلك أفتيتك بأخذ المال من الرعية. فغضب من كلامه وأخرجه من دمشق فذهب إلى نوى.

عند الاضطرار لفرض ضرائب يجب أن تقدر الضرورة بقدرها ويجب مراعاة أن الضريبة المباشرة وضريبة القيمة المضافة على السلع والخدمات تؤدي إلى زيادة تكاليف الإنتاج ورفع الأسعار وزيادة معدلات التضخم وتؤثر سلبا على الاستثمار بقدر زيادتها، والضريبة غير المباشرة التي يتحملها الفقراء والأغنياء كرسوم التراخيص وضريبة السلع والخدمات في كل مراحل إنتاجها وتداولها وعند الإفراج الجمركي تشكل عبئا على الفقراء والأصل فيها أن تكون على قدر الغنم العائد والخدمات المقدمة.

[عودة للقمة](#_top)

# اللامركزية الإدارية

أرقى نظم الإدارة هي اللامركزية الإدارية مع مركزية التخطيط والتنسيق والرقابة لجمع مزايا الدولة الموحدة والفيدرالية، لذا ينتقد كتاب أمريكا الفيدرالية الأمريكية وينتقد كتاب فرنسا مركزية النظام الفرنسي الموحد وتتجه الدول الفيدرالية نحو مزيد من المركزية وتتوسع الدول الموحدة في منح صلاحيات لإداراتها المحلية (مبادئ علم السياسة أ.د. عثمان الرواف)

وفي بحث قانوني فى اللامركزية الإدارية للدكتور إدريس لكريني أنه يجوز أن تمنح الحكومة بعض اختصاصاتها لهيئة محلية معينة من سكان المنطقة ومنحها الاستقلال المالي والإداري باعتبارها أدرى بمشاكل المنطقة وأقدر على حلها فتنفذ خطط وأهداف الحكومة وتكون تحت رقابتها، ويجب تحديد اختصاصات الهيئات المحلية بقانون ولا ينتقص منها إلا بقانون، فهذا يمنح الحكومة المركزية فرصة التفرغ لإدارة المرافق القومية ووضع السياسات العامة والتنسيق بين احتياجات الهيئات المحلية.

أرى أن تنسق الحكومة مع الأحزاب لتطوير مراكز الإدارة المحلية فتضم أرباب معاشات مستشاري وزارة العدل وضباط الجيش والشرطة وأطباء ومهندسين، فهم أدرى بمشاكل منطقتهم، فتقوم بجدية بالإشراف على إدارة المرافق والهيئات والمصانع والشركات وتتلقي اقتراحات العاملين لتطبيق [الإدارة الديمقراطية](#_الإدارة_الديمقراطية_واستراتيجية) وتحقيق ثورة إدارية، ويشرف كل عضو على مجاله فيشرف الضابط المتقاعد على مركز الشرطة والطبيب على إدارة المستشفى وهكذا، ويتلقى المركز شكاوى ومظالم الجمهور ويحقق فيها وترفع للحكومة توصياتها بالجزاءات، فتكون المراكز حلقة وصل لتنفيذ خطط الحكومة والإشراف على مرافقها وحل مشاكلها.

ويكون للمراكز موقع على النت ومنتدى تواصل مع الأهالي، ويمكن أن تمنحه الحكومة حق فتح حساب للزكاة وآخر للتبرع وثالث للاستثمار بنظام المضاربة على مشاريع معينة، ويسجل على موقعه حجم كل حساب يتم تحديثه أولا بأول، وبيانات عن المنطقة والمشاريع المقترحة للدراسة، وما يتم دراسته يطرح للمساهمة والتنفيذ. والمتبرعون بعضهم يتبرع لوجه الله لبناء مصر وبعضهم يكون قد اختلس أموالا ويريد أن يتوب، فإذا نظرت قضيته يكون لسند التبرع اعتبار عند القاضي على قدر نسبته إلى المبلغ الذي اختلسه ووقت التبرع لإثبات حسن النوايا، وأيضا يستطيع كل فرد خصم مبلغ التبرع من أي مطالبات ضريبية.

ويجمع المركز معلومات عن الفقراء لمساعدتهم بالتعاون مع الجمعيات الخيرية، ومعلومات عن العاطلين وسيرتهم الذاتية، ومعلومات عن الحالة الأمنية وأعداء الثورة والسائقين والبلطجية ويحصر أطفال الشوارع لتشغيلهم في [مراكز تطوير الذات والمهارات](#_استراتيجية_العلاقات_الدولية)، وينشئ مراكز محو أمية، وتكون المراكز مترابطة وتحت تنسيق ورقابة الحكومة.

وعلى المراكز النظر في اقتراحات العاملين بكل مؤسسة وشركة ومصنع لاستبعاد المفسدين والإداريين التقليديين الذين لا يستوعبون [الإدارة الديمقراطية واستراتيجية فريق العمل](#_استراتيجية_فريق_العمل) لتحقيق إنجازات ملموسة، فبدلا من المطالبات الفئوية بزيادة الرواتب يتجه العاملون لتطوير الإدارة لأنها ستنعكس عليهم، وأكثر الإداريين نجاحا تتم ترقيته ليكون على مستوى المحافظة ثم الوزارة، بهذا يتم تطهير المسئولين الحكوميين من أعلى إلى أسفل وتأسيس التشكيل الإداري للدولة من أسفل إلى أعلى.

[عودة للقمة](#_top)

# الإدارة الديمقراطية واستراتيجية فريق العمل

الفلسفة الإدارية لاتخاذ القرار الصائب تحتاج استيعاب فكرة فريق العمل لجمع الأفكار ووضع الخيارات وتحليلها ودراسة ردود أفعالها. إن وضع خطة لكل وزارة وتطوير كل مؤسسة وشركة ومواجهة الأزمات والمشكلات كلها تحتاج فهم فلسفة (فريق العمل) فليس هناك شخص يحتكر الأفكار الجيدة هكذا قال جيفري كرامز، فاجتماع باحثين ذوي مهارات تخصصية متكاملة، يجمعهم هدف واحد، راغبين بصدق في تحقيقه، لا يجمعهم أيديولوجية واحدة تجعلهم ينظرون من جانب واحد، أو اجتماع العاملين بمؤسسة أو شركة أو مصنع أو المعنيين بمشكلة كمشكلة سيناء أو النوبة، ثم النقاش وطرح الأفكار والبدائل والتشاور يصل إلى أفضل رؤية عملية قابلة للتنفيذ "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ".

في كتاب (أسلوب ويلش The Welch Way) عرض الكاتب جيفري كرامز فلسفة ويلش الإدارية التي بها جعل شركة جنرال إلكتريك أقوى شركة منافسة في العالم بعد أن كانت مترهلة بالمشاكل فيقول (سيذكر التاريخ ويلش على أنه القائد المناسب في الوقت المناسب .. لقد شن ويلش حربا على الطريقة الروتينية وطور الشركة من القمة إلى أسفل) أخذ جيفري الدروس من أسلوب ويلش ويفسر أسلوبه بأنه ثورة إدارية شاملة حيث كانت الشركة في مأزق حقيقي وحالة اقتصادية مزرية وأمامها تحديات ومنافسة عالمية فوق المستوى.

قليل أولئك الذين يهتمون بفن الإدارة، فالإدارة التقليدية تجعل العاملين تروسا في ماكينة تعمل بطريقة روتينية ظنا منها أن هذه طاقتهم، لكن الإدارة الديمقراطية تطمح لأهداف عظيمة يظن البعض أنها مستحيلة وتثق وتطور قدرات الموظفين وتشعرهم بأن هناك منفعة متبادلة بينهم وبين الشركة، وأن ما يبذله العامل من جهد من أجل بقاء الشركة ونجاحها وتقدمها يعتبر ضماناً لبقائه ونموه وتقدمه، فهي تحقق إنجازات خيالية لكنها في حاجة إلى إخلاص وقيم أخلاقية وفن، وفي حاجة إلى تقييم، وثواب مشجع وعقاب عادل على أسس واضحة.

كان ويلش متواضعا مخلصا، لم يخدع نفسه فيظن أن الأمور ستتحسن من تلقاء نفسها ولكنه واجه الواقع، كان يجلس مع الجميع لجمع الأفكار ويقول لهم (إن البطل هو صاحب الفكرة الجيدة) فيطرح جميع العاملين رؤيتهم ويتحمسون للنهوض بالشركة، يقول جيفري (القائد هو الذي يشرك الجميع، فربما يكون الشخص الأكثر هدوءا وصمتا في الفريق هو من يمتلك أفضل فكرة) ويقول (ابحث عن قادة في كل المستويات يستطيعون التحفيز والتشجيع وجمع الأفكار الرائعة) ويقول (الثقة في النفس وتدمير الروتين وتبسيط الأمور من ضروريات النجاح فتخلص من كثرة الموافقات والاستمارات أو قللها ولا تجعل الرسميات والزي ومواعيد الحضور والخروج أهم من الإنجاز)

كان ويلش حريصا على الاستفادة من كل فكرة جيدة وسرعة اتخاذ القرار الصائب، وكان يهتم بالقيم وأخلاق الشركة، فلكل مؤسسة آداب على رأسها التواضع والأمانة وحسن الخلق، فكان يطرد الذين لا يلتزمون بقيم الشركة ولا يبقي على مدير مستبد يرهب المرؤوسين وإن كان يحقق نتائج بلغة الأرقام، ويرقي الموظفين الذين يتميزون بالخلق والطموح وفن الإدارة فلابد للإداري الجيد أن يكون إنسانا وقدوة لمن تحته.

وفي الإدارة اليابانية التي لخصها الدكتور سعيد شعبان حامد مدرس إدارة الأعمال بجامعة الأزهر نفس فكرة المشاركة فى صنع واتخاذ القرار بل وفيها تواصل دائم بين الإدارة والعاملين لخلق فهم مشترك حول الأهداف وتبادل الرأى فى الأمور التى تمس مصلحة العمل والمصالح الذاتية، فالمدير اليابانى لا يهتم بالجانب العملى من حياة الموظف فقط، وإنما يهتم أيضاً بحياته الخاصة لأن الإنسان كيان متكامل لا يمكن تجزئته، وكلا الجانبيين فى حياته يؤثر فى الأخر، وعندهم نظام يضمن جدية دراسة أى مقترح فيحيله إلى لجنة فنية لدراسته فإذا كان مفيداً أخذ طريقه إلى التطبيق العملى ويكافأ صاحبه، إلا أن الإدارة اليابانية تخالف فلسفة ويلش في مبدأ طرد الموظفين، وأراها موفقة في هذا الجانب فهي ترى ضرورة ضمان عمل مستقر للموظف الذى تمت الموافقة على تعيينه فلا يكون مهدداً بالفصل لتقوية ولائه للمنظمة وتقوية روحه المعنوية وتخفيض معدل دوران العمل وتكاليف التدريب، وهذه السياسة تجعلها تتبع سياسة دقيقة في الاختيار والتعيين تراعي فيها الخصائص الشخصية ومدى توافقها مع طبيعة عمل المنظمة والاهتمام بسياسة التدريب، وهي تفضل الإلمام العام على التخصص المحدود لتسهيل مرونة التنقل الداخلي ونقل الفرد إلى المكان الذي يناسبه في المنظمة بدلا من فصله.

الشعب عنده قدرات وطاقات خلاقة ولكنها مهدرة، ولو وجد الإدارة السليمة التي تشجع أفكاره وقدراته وتفهم طبيعته ومشاكله وتستوعب فن الإدارة ستحقق نهضة عظيمة، كان ويلش يحث موظفيه على ممارسة الإدارة واتخاذ قرارات شجاعة بأنفسهم فلا ينبغي على الرئيس أن يضع لهم كل التفاصيل بدقة، فالأهداف معروفة وتحقيقها بطرق مبتكرة يستحق التشجيع، فكان الموظفون يشعرون بالمسئولية عن قراراتهم وإنجاز مهام عملهم ليتفرغ الرئيس لمهام إدارية أرقى ورؤية للشركة أوسع ولا يغرق معهم في التفاصيل الصغيرة.

إن المشروع الذي أطرحه يحتاج فريق عمل من النخب الوطنية والباحثين في كل المجالات لاستكمال أسس البناء الحضاري ووضع معايير جودة المؤسسات والشركات، ووضع رؤية واستراتيجية طموحة تناسب مكانة مصر، كل المواقع في مصر تستثمر نسبة قليلة من مواردها وإمكانيات موظفيها، ونحن في حاجة إلى ثورة إدارية في كل مواقع لتحقيق إنجازات حقيقية وسريعة فتنقلها نقلة حضارية عظيمة.

[عودة للقمة](#_top)

# مراكز تطوير الذات والمهارات

في "كتاب القادة" لجون إتش زينجر وجوزيف فولكمان أن أكثر الناس سوءا من الممكن أن يتغير إذا وجد البيئة المناسبة فمجندي مشاة البحرية غالبا يأتون من أسر تعج بالمتاعب والمفاسد ويكونون من مدمني المخدرات أو مدانين في بعض الجرائم الصغيرة ولم يصلوا لمستوى التعليم الجامعي، ورغم ذلك فالعديد منهم يتحولون إلى قادة ناجحين ومؤثرين بعد عامين إلى ثلاثة أعوام من تجنيدهم وبعضهم يظهر قدرات قيادية فائقة.

إن كسب الانضباط والمهارات أهم من القدرات الموروثة، ومراكز التدريب والتأهيل وتنمية الموارد البشرية أصبحت تحوز اهتماما عالميا، ومن الممكن أن تكون لها أهداف استثمارية لاستصلاح الصحراء وإقامة مشاريع وتقوم في نفس الوقت ببناء الإنسان أخلاقيا وسلوكيا وتطوير مهاراته فتفيد أطفال الشوارع والمساجين ومدمني المخدرات ومرتكبي جرائم الجنس والاغتصاب، ويمكن التعاون مع الجيش والدعاة ومدربين في التنمية البشرية لخلق بيئة صحية منضبطة تساعد على تغيير السلوك والعادات، ويتخرج منها مفكرين ومبدعين وقادة.

إن البرمجة اللغوية للجهاز العصبي أو برمجة دماغ الإنسان (NLP) تهدف لتغيير السلوك وكسب المهارات وتحقيق التوازن النفسي وعلاج القلق والتوتر والضعف والوهم والإحباط، لذا من الممكن أن يكون لهذه المراكز أماكن ترفيه للعلاج النفسي، وهذا العلم اهتم بالوارد إلى القلب عبر الحواس كالسمع والبصر للتحكم فيه لبرمجة العقل الباطن بمعلومات إيجابية ومنع أي معلومات سلبية، فالإنسان يكسب عبر هذه الأنماط معلومات تخزن في عقله الباطن وتشكل حالته الذهنية والنفسية وسلوكه بغض النظر عن حقيقة هذه المعلومات فتتم برمجة العقل الباطن بمعلومات جديدة إذ لا يمكن محو ما في العقل الباطن من برمجة قديمة بل لابد أن نستبدل بها برمجة أخرى.

إن وجود بيئة عمل جديدة كمورد رزق وإقامة كاملة وجو يتحكم في الوارد إلى العقل الباطن يمكن به بناء الإنسان روحيا وفكريا وخلقيا فيتغير كيانه ويرتقي سلوكه فالإنسان وحدة واحدة. ولسنا في حاجة لتزييف حقائق فالذي يعرف الحقيقة وأن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، ويعرف حقيقة نفسه وضعفه وحقيقة ربه وكماله وقوته ورحمته يمتلئ قلبه بمحبة ربه وتعظيمه وخشيته، فالقلوب مجبولة على محبة الكمال والجمال صاحب الفضل والإحسان، مجبولة على الخوف من القوي الجبار، وعلى رجاء من يملك أمنها ومعاشها، وإفراد الله بالمحبة والخوف والرجاء أصل الهداية وأقصر الطرق لتغيير الإنسان وعلاج أمراضه فيكون مهيئا لكسب مهارات مختلفة حسب ميوله وطموحه في وجود مدربين متخصصين.

[عودة للقمة](#_top)

# استراتيجية العلاقات الدولية

تعايش رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المجتمع الدولي، فأذن لأصحابه بالهجرة للحبشة وقال إن بها ملكا لا يظلم الناس عنده، وعاش المسلمون في حكم النجاشي واستمروا سنين بعد الهجرة إلى المدينة وحتى فتح خيبر، كما تحالف صلى الله عليه وسلم مع خزاعة وهي مشركة بعد صلح الحديبية ولم يفتح مكة إلا حين دعمت قريش قبيلة بني بكر في هجومها على خزاعة فاستغاثت به خزاعة، لكنه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بتبليغ رسالة الله للعالمين، وكان الحكام يحولون دون ذلك لاستعباد الشعوب فكانت الفتوحات الإسلامية لإزاحة الحكام وتبليغ الرسالة دون إكراه أحد على الإسلام.

كل آيات البراءة من المشركين معها قرائن تؤكد أن المقصود بها المحاربون الذين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة، والذين عاهدهم النبي ثم ينقضون عهدهم في كل مرة، وحين قال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء" وضح السبب بقوله تعالى "يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ" أي لأنهم أخرجوكم من دياركم بسبب إيمانكم وقال بعدها "إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء" وعندما أمر الله بالاقتداء بسيدنا إبراهيم عليه السلام في البراءة من المشركين وضح بعدها أن النهي عن موالاتهم خاص بالمحاربين منهم وأن غير المحاربين يجوز برهم "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ".

في أمريكا فريق يريد التوافق مع العالم الإسلامي باعتبار أغلبيته معتدلة، وفريق مدعوم من اليهود يؤمن برؤية فوكوياما في (نهاية التاريخ) وهنتنجتون في (صدام الحضارات) بأن الإسلام لا يتعايش مع الآخر وأن صدام الغرب معه حتمي وأنه نهاية التاريخ، ثم جاء تدمير برجي مركز التجارة العالمي فأحبط فريق التوافق ودعم فريق الصدام الذي يعتبر إسرائيل خط دفاع عن الغرب ضد عدو همجي لا يقبل الآخر فظهر تحالف بين المحافظين الجدد وفيهم كثير من اليهود وبين اليمين المسيحي ثم أعلنوا عن استراتيجية للأمن القومي الأمريكي في سبتمبر 2002 تعتمد الحرب الاستباقية ضد قوى الشر وعدم الاكتراث بالقانون الدولي والمؤسسات الدولية لمحاصرة أمتنا وإضعافها، قال نتنياهو معلقا على أحداث 11 سبتمبر "يؤسفني أن يحتاج العالم الحر كل هذا العدد من الضحايا ليتفهم طبيعة المعركة التي تخوضها إسرائيل في الشرق الأوسط باسم الحضارة الغربية والعالم المتنور ضد قوى الشر والظلام".

المكر اليهودي قديم قبل أحداث سبتمبر 2001م، ففي مقال بمجلة (الجندي المسلم) السعودية عدد مايو 2001م أن الباحث التركي روشن جاكير أكد في بحث نشر في جريدة (مليت) أن المقربين من اللوبي الإسرائيلي يهيمنون على الفكر الاستراتيجي الأمريكي ويدافعون عن فكرة عدم موافقة الإسلام للنظام الديمقراطي ويطالبون في الكونجرس بسياسة متشددة ضد الجماعات الإسلامية، وفيه أن مجلة (واشنطون ريبورت) ذكرت أن مصدر القلق الأمريكي مما أسمته (الخطر الأخضر) إشارة إلى الأصولية الإسلامية يرجع إلى اللوبي الإسرائيلي بأمريكا.

إن الإسلام الحق الذي يحرم قتل غير المحاربين ويحترم العهود ومتوافق مع النظام الديمقراطي يعطي أملا لفريق التوافق ويحبط اللوبي اليهودي ويمنح فرصة عظيمة لحضارة عربية غير تصادمية مع الغرب، وإني أرجح أن ذلك سيكون، فنهاية التاريخ ليست حربا بيننا والغرب كما قال فوكوياما ولكنها صلح آمن بيننا لما جاء في صحيح مسلم "ستصالحون الروم صلحا آمنا فتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون"، فنحن نرى أن فريق التوافق سينتصر ولابد من دعم هذه الرؤية.

سياسة أمريكا تحكمها المصالح وديننا تدور شرائعه على تحقيق المصالح، والنصارى أقرب لنا مودة من اليهود والمشركين بنص القرآن، وفرح المؤمنون بنصر الله للروم على الفرس، فأمريكا بدون ضغط اللوبي الصهيوني أقرب إلينا من روسيا والصين، ودعم روسيا لإسرائيل لا يقل عن أمريكا، فالرئيس يلتسين نجح في انتخابات 1996م بدعم مهندس الخصخصة اليهودي بتشوبايس الذي وفر له أموال الدعاية من رؤساء البنوك اليهود (قراءة جديدة لكتاب هنري فورد اليهودي العالمي ص63)، لكن الحليف الضعيف لدولة عظمى بلا أوراق قوة تضمن مصالحه يكون أقرب إلى العميل، فتحالف باكستان وأمريكا لم يحقق مصلحة باكستان حين تعرضت لخطر حقيقي سنة 1971م مع الهند وأدت لانفصال بنجلاديش (الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية للدكتور محمد عزيز شكري ص14)، أما الحليف القوي فيحافظ على مصالحه ومبادئه، فإسرائيل حليف لأمريكا لكنها حليف ضاغط، وتركيا حليف لأمريكا لكنها أخذت موقفا متحديا لإسرائيل من حصار غزة لأهداف إنسانية وتحافظ على علاقاتها بأعداء أمريكا، فإسرائيل تثير مخاوفنا من أعدائها لنحاربهم بدلا منها أو معها، وحسنين هيكل كان يعجب من سياسة مبارك في معاداة أعداء إسرائيل كحماس وحزب الله، فامتلاك القوى الناعمة بحسن العلاقات الدولية وتجاوز الخلافات من فن السياسة، أما سياسة مبارك فكانت أقرب إلى التبعية.

في العلاقات الدولية لا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة بل مصلحة دائمة، والتعاون لمصالح مشتركة لا يستدعي التحالف، فنحن في حاجة إلى مؤسسة قوية في السياسة الخارجية تضم كبار السياسيين، فالتحليل ودراسة ردود الأفعال في وضع عالمي معقد متشابك المصالح عملية ليست يسيرة، وبعد اقتراح قرار يمكن مقايضة الدول المستفيدة منه، فقد طرد السادات الخبراء الروس قبل حرب73 بدون مساومات أو تعهدات أمريكية تنفعه في الحرب التي عزم عليها، رغم أن طرد الروس كان يتقاطع مع مصلحة أمريكا، وقال الأمريكان بعدها لو عرض عليهم استعداده لطرد الروس وساومهم لقدموا له ما يريد.

إن استعداء أمريكا بدون حساب المصالح والمفاسد حماقة سياسية، لقد عرضت أمريكا على طالبان عام 1996م دعما عسكريا واقتصاديا مقابل التوافق الاستراتيجي وطرد أعضاء تنظيم القاعدة . كانت أمريكا تريد أن تشكل من أفغانستان وباكستان قوة سنية حليفة لها تعادل القوة الشيعية وقوة الصين وروسيا، وطلبت مد خط أنابيب ينقل الغاز الطبيعي من منطقة بحر قزوين عبر أفغانستان ثم باكستان والمحيط الهندي، وكان هذا يتيح لأفغانستان تشكيل حلف سني قوي مع باكستان ولا يؤثر على سيادة طالبان ولم يشترط عدم تطبيق الشريعة، فكان عليها تقديم مصلحة أفغانستان، وإما أن يوقف تنظيم القاعدة عداءه لأمريكا أو يترك أفغانستان، ولكنها رفضت العرض. (استراتيجية وتفجيرات القاعدة ص70)

[عودة للقمة](#_top)

# صفات القيادة الناجحة

قال جون إتش زينجر وجوزيف فولكمان في "كتاب القادة": (إن القيادة الاستثنائية تصنع فارقا هائلا وسريعا، والذي لا يجد نتائج سريعة نسبيا ربما لا يجدها أبدا) ويقول (القادة العظماء لا يتسمون بأنه ليس لديهم نقاط ضعف ولكن بأنهم يمتلكون نقاط قوة واضحة... وجوهر القيادة الاستثنائية يقوم على الاستقامة والصدق، وهي صفة الذين لا يظهرون غير ما يبطنون، ولا يسرفون في الوعود، وكلما اقتربت من داخلهم ازددت ثقة فيهم)

لن يصلح لقيادة الأمة من لا يعرف معنى الاستقامة والصدق بزعم تمتعه بكاريزما القائد وكأن الكاريزما مظهر وتعال وقوة بطش وسيطرة تجرنا إلى ديكتاتورية، في كتاب (زمن الكاريزما) لآرثر شفايتزر أن الاستقامة الأخلاقية أساس كاريزما القائد (تأثير شخصيته) والتي تنبع من إيمانه برسالته وثقته في نفسه وقدرته على تجسيد طموحات شعبه، وصفات القائد الناجح في برامج إعداد القادة أن تكون له رؤية طموحة، ومنهج يعرف به كيف يصل للقرار الصائب.

لابد للقائد أن يستشير متخصصين من كل الاتجاهات والمعنيين بالمشكلة ليرى الصورة من كل جوانبها ويدرس الخيارات وردود أفعالها ثم يتخذ قراره بقوة، والثقة في النفس في الإسلام ثقة في الله ومعيته وتوفيقه، أما قوة بلا رؤية ولا منهج لاتخاذ القرار، وثقة في النفس تصل إلى حد الغرور فهي تجر القائد إلى الضلال فكل ديكتاتور يستشير لكنه يستشير أتباعا لهم نفس الثوابت والمنهج ووصوليين يخفون ما بداخلهم فلا يرى الصورة كاملة.

كان أبو بكر وديعا ولكن حين منع المرتدون الزكاة رأى أن التهاون سيدمر دولة الإسلام في مهدها، فأقنع عمر حتى لا يحدث شقاق ثم نفذ بقوة، أما غطرسة القائد وغروره وإرهابه لمن معه فهو ضلال، فعمر حين فتح القدس وصلها ماشيا وخادمه راكب إذ كانا يتناوبان الناقة ولما أنكر عليه أبو عبيدة قال "كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله" فالإسلام عند عمر صدق وتواضع وليس منظرة وغطرسة، وهو سر التوفيق والعزة.

لابد لنجاح القائد أن يكسب ثقة الشعب في نزاهة حكمه، وفي صلح الحديبية درس عظيم لأهمية الثقة في القائد، فلما تنازل صلى الله عليه وسلم لقريش قال عمر: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ؟ قال "بَلَى" قال: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قال "بَلَى". قال عمر: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟ فالتنازل أرابه لكن الله سماه فتحا مبينا، ففتحت خيبر ثم مكة فكان درسا للمسلمين حتى لا يتشككوا في القائد إذا تنازل للعدو وأبرم معه صلحا فلا يتهم بالضعف أو العمالة، لكن الثقة في النبي صلى الله عليه وسلم منبعها الوحي، أما الآن فمنبعها الثقة في دوائر صنع القرار ([فلسفة البناء الحضاري](#_فلسفة_البناء_الحضاري)) مع الحذر من تزاوج رأس المال والسلطة ومافيا فساد داخل الحكومة، فلابد من حصر الذمة المالية للمسئولين ومنعهم من الاستثمار أو قبول هدايا، فقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على جامع الزكاة قبول هدية، ولما أتت غنائم حنين أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا يتألف قلوبهم ومنع الأنصار، فلما وجدوا في أنفسهم جمعهم صلى الله عليه وسلم ليعطيهم درسا في التجرد ليكونوا أمناء على قيادة الأمة، فحذرهم المن بجهادهم ثم قال: أوجدتم يا معشر الأنصار في نفوسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، ثم تألف قلوبهم ودعا لهم حتى قالوا: رضينا بالله رباً، ورسوله قسماً. إنه درس عظيم ليظل أهل الدعوة متجردين زاهدين لا يريدون إلا الله والدار الآخرة.

السياسي الصادق يعرف كيف يقنع الناس بمشروعه ويجعلهم في خدمة الوطن، يقول تكساس جينان: السياسي هو الذي يستطيع وضع حياتك في خدمة وطنه. وعندما يريد السياسي كسب خصومه يقلل ثوابته للحد الأدنى، ففي يوم الحديبية أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم كسب قريش فقال "لن تسألني قريش اليوم مسألة يعظمون فيها شرع الله إلا أجبتهم إليها" فقدم تنازلات وتخلى عن نصرة من يدخل الإسلام من قريش وهو نبي الأمة ليقدم نموذجا في دهاء السياسة وجواز الصلح مع الأعداء والتنازل.

[عودة للقمة](#_top)

# الغلو والتشتت في الدين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع"، وقد ظهر في الأمة الغلو والتشتت كما حدث في أهل الكتاب قبلنا، والغلو أن ندخل في الحق ما ليس منه ونتمسك به تمسكنا بالحق "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ" إما بسبب الغلو في العلماء أو الغلو في الصالحين أو الغلو في بعض شعب الإيمان على حساب أخرى.

الغلو في العلماء أن نقدم أقوالهم على الأدلة الشرعية ونتمسك بأقوالهم بعد وضوح بطلانها، وقد أوضحنا ذلك في [فتنة العقيدة](#_السلفيون_وفتنة_العقيدة_1) و[آفة الفقه السلفي](#_آفة_الفقه_السلفي)، قال ابن تيمية في رسالة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) إن العالم قد يكون معذورا في خطئه، ولكننا لسنا معذورين في اتباعه) أما الغلو في الصالحين فهو أن نعتقد أن الله أعطاهم صفات ذاتية أخبرنا سبحانه أنه استأثر بها كعلم الغيب والقدرة على الآيات، أو نتوجه إليهم بعبادات هي حق لله وحده.

الله سبحانه استأثر بعلم الغيب والآيات فقال تعالى "قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ" وكان المشركون إذا طلبوا آية نزل القرآن يؤكد "قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ" لكن الله يظهر على غيبه من ارتضى من رسول أو يعطي أنبياءه وأولياءه آية لحكمة منه وقت أن يشاء بالكيف الذي يشاء ولم يعطهم قدرة ذاتية على معرفة الغيب أو فعل الآيات، فنبي الله عيسى بن مريم عندما طلب منه بنو إسرائيل أن ينزل عليهم مائدة من السماء ظل يدعو الله ويبتهل كي ينزلها عليهم لأنه لا يملك ذلك، حتى قال سبحانه "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" والفارق شاسع بين اعتقاد أن المخلوق لا يملك من أمره شيئا وأن الله هو الذي يدبر الآية وبين اعتقاد أن الله أعطى أحد عباده هذه القدرة، فالاعتقاد الأول يجعل الإنسان يرتبط قلبه بالله وليس بمن أجرى الله على يده الآية فعندما وجد سيدنا زكريا الرزق عند السيدة مريم بلا أسباب طمع في فضل ربه ودعاه أن يرزقه الولد وكانت امرأته عاقرا، ولم يطلب من السيدة مريم حتى الدعاء فضلا عن أن يدعوها من دون الله أو يستغيث بها "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ" أما اعتقاد أن أحد الأولياء يملك ذلك فيجعل الناس تتعلق به فتدعوه أو تستغيث به والدعاء عبادة والاستغاثة دعاء المضطر.

أما التشتت فقال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ" وذكر الله لنا من أسباب تشتت أهل الكتاب نسيان جانب من الحق "فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" فترك جانب من الحق من أسباب التشتت "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ"، ومنها البغي على الآخر بتجاهل ما عنده من حق والغلو فيما عنده من باطل "وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ"، قال فخر الدين الرازي (إن العلم يوجب ارتفاع الخلاف وههنا صار مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف) ومنها التحزب إلى جماعات تفرح بزيادة عددها وإنجازاتها حتى جعلوا الحب والكره والولاء والعداء على أساس الجماعة "فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ".

[عودة للقمة](#_top)

# السلفيون وفتنة العقيدة

هناك سلفيون يضللون الأزهر لأنهم أشاعرة والإخوان لأنهم مفوضة ويستغلهم نظام مبارك. إن وحدة العقيدة أصل تآلف الأمة وليس هناك عقيدة للخلف وأخرى للسلف فلن يفلح خلف ولا سلف إلا باتباع من أثنى الله عليهم "وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" التوبة100، أما عقيدة القرون الثلاثة الأولى وزعم أنها قرون الخيرية فقد ظهر فيها الخوارج والقدرية ونفي الصفات، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" يدل على توالي نزول الخيرية، ففي المتواليات يذكر ثلاثة حدود للدلالة على التوالي صعودا أو نزولا.

صفات الله توقيفية، فما ذكره الله مجردا ذكرناه مجردا، وما ذكره متعلقا بغيره ذكرناه كما جاء بلا تحريف، ولا يلزم من إثبات الصفة متعلقة بغيرها أن تكون على الحقيقة فقد نسب الله لنفسه الشر متعلقا بالابتلاء فقال تعالى "ونبلوكم بالشر والخير فتنة" ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبة الشر إلى الله مجردا فقال "والشر ليس إليك" فعلم أن الشر المثبت متعلقا بالابتلاء ليس شرا في الحقيقة ولكنه شر مجازا أي (ما تسمونه أيها الناس شرا) حقيقته خير لأنه يكفر الذنوب ويذكر العبد بربه.

هناك صفات إن ذكرت مجردة توحي بأن لله جوارح، ذكرها الله متعلقة بغيرها لكنه لم يثبتها مجردة ولم ينفها، سمعها الصحابة فلم يسألوا أعلى الحقيقة أم المجاز، لكن بعض العلماء اجتهد فاختلفوا، والصحيح إمرارها كما أمرها خير القرون فلن نسبقهم إلى علم أو خير، فنقول إن الله خلق آدم بيديه ونفخ فيه من روحه لا نزيد ولا ننقص، فالله لا تحيط به العقول "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ"، وفي قوله تعالى "وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ" قال ابن كثير (وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف) وقال نفس الكلام في آية الأعراف "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" وقال الشوكاني في رسالة [التحف في مذاهب السلف] (كانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل، وقالوا: قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه).

إن الخروج عن النص القرآني تحريف كتحريف أهل الكتاب "يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ" المائدة41، فإن قلنا كل شيء بيد الله أو بيده الملك شعرنا بعظمة الله، أما إن قلنا لله يدان ووجه وعينان شعرنا أنها جوارح، لذا قال البخاري (باب قول الله تعالى "لما خلقت بيدي"، وباب "كل شيء هالك إلا وجهه" ولم يقل باب أن لله يدين أو وجها. وابن جرير الطبري يفسر "لما خلقت بيدي" فيقول (لخلق يدي، يخبر –تعالى ذكره- بذلك أنه خلق آدم بيديه)، فلزم النص القرآني ولم يقل يجب أن نثبت لله يدين.

بدأ الانحراف بإثبات هذه الصفات مجردة على استحياء وبدون قصد أنها على الحقيقة، قال الخطيب البغدادي في رسالة الصفات (فإذا قلنا: لله تعالى يد وسمع وبصر فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه .. ولا نقول إنها جوارح وأدوات الفعل) وقال (وحققها من المثبتين قوم فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف) وكلمة حققها أي أثبتها على الحقيقة فيثبت اللفظ القرآني ويحذر من إثباته على الحقيقة أو أنه جارحة وأداة للفعل، ثم جاء بعده من يصرح بأنها على الحقيقة ومن يقول إن لله عينين يرى بهما، رغم أن صفة العين لم ترد بالتثنية ولم يجتهد فيها الصحابة، ولكن السلفيين قاسوا صفات الله على صفات خلقه فزعموا أن نفي العور عن الله يثبت عينين، وهذا قياس باطل.

وفيما رواه البخاري ومسلم مرفوعا "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا" جعل بعض السلفيين الهاء في "صورته" عائدة على الله وقال الشيخ ابن عثيمين في شرحه للأربعين النووية (ص34) (من جعل الهاء عائدة على آدم فقد حرف تحريفا مشينا مستكرها لأن كل مخلوق فقد خلق على صورته وهذا هراء لا معنى له) وهذا أيضا رأي ابن باز واستشهد بلفظ للحديث فيه "على صورة الرحمن" لكن جاء في "فتاوى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في المدينة والإمارات" جمع وترتيب الشيخ عمرو عبد المنعم سليم صفحة (16-17) أن الضمير عائد على آدم وتتمة الحديث وهي ستون ذراعا في السماء تغني عن التأويل، أي أنه لم يخلق مثلنا طفلا ثم كبر ولكنه خلق كبيرا على هيئته، أما حديث (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن) فذكر أنه ضعيف بهذا اللفظ لأنه من رواية حبيب بن أبي ثابت وهو مدلس وقد رواه معنعنا في كل الطرق وكلها تدور عليه.

عقيدة الأئمة الأربعة السكوت عن هذه الصفات وإمرارها كما جاءت، قال الإمام مالك "إياكم والبدع وأهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون" عقيدة السلف للصابوني54. وفي كتاب "أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة" قال د/ ناصر القفاري أستاذ العقيدة بجامعة القصيم ص12 (من أتباع الأئمة من خاض في الكلام ورأى أن ما جاء به هو من أصول الدين وربما نسب ذلك لإمامه توهما منه وجهلا) كما أوّل العلماء بعض آيات الصفات لفهم مراد الله، قال الطبري وابن كثير في قوله تعالى "بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ" أن اليهود زعموا بقولهم يد الله مغلولة أنه بخيل فرد الله عليهم بأنه سبحانه واسع العطاء، فكانت العرب تطلق غل اليد على البخل وبسطها على الجود. كما تأول الطبري وابن كثير الساق بالشدة، وذكر ابن كثير حديث البخاري "يكشف ربنا عن ساقه.." ثم أولها بالشدة وهذا يدل على أن التأويل يشمل الآية والحديث فيكشف ربنا عن ساقه أي عن بأسه وشدته لأنه يغضب غضبا لم يغضب مثله، ولم أجد قولا في كتب التفسير بأن الساق صفة إلا أن تفسير السعدي خرج عن كتب التفسير فقال (يكشف الله عن ساقه الكريمة) رغم أن الكرم لا يناسب شدة اليوم وهوله.

أما ما جاء عن الإمام أبي حنيفة من إثبات اليدين والوجه في كتاب الفقه الأكبر فقال سفر الحوالي على موقعه (وأكثر المحققين على أن الكتاب كتبه أبو مطيع البلخي وقال إنه من إملاءات الإمام) فماذا قال العلماء في أبي مطيع: قال ابن حجر في لسان الميزان (2 / 335): (قال أبو حاتم الرازي: كان مرجئا كذابا) وقال ابن الجوزي في حديث موضوع إنه (من وضع أبي مطيع واسمه الحكم بن عبد الله، قال أحمد بن حنبل: لا ينبغي أن يروى عنه شيء) (الموضوعات 1: 130). وقال الدكتور ناصر (ص79) إن أوثق نص في اعتقاد الإمام أبي حنيفة نص الإمام الطحاوي ثم ذكر النسخة الموثقة وليس فيها إثبات اليدين أو غيرها بل فيها تنزيه الله عن الأعضاء (تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء)

وما جاء عن الإمام الشافعي بقوله (وأن له يدين..) جاء من رواية أبي طالب العشاري، وقال ابن حجر عنه في ترجمته في لسان الميزان: (شيخ صدوق معروف لكن أدخلوا عليه أشياء فحدث بها بسلامة باطن منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء ومنها عقيدة للشافعي ... إلى أن قال: والعتب إنما هو على محدثي بغداد كيف تركوا العشاري يروي هذه الأباطيل)

أما الإمام أحمد فقال الدكتور ناصر ص98 إن أهم مصدر جمع اعتقاده هو الإمام الخلال ولاسيما في كتابه "السنة" وفيه لم يتكلم الإمام أحمد في هذه الصفات، بل فيه نفي التركيب والصورة والجسم عن الله فقال (لَا يجوز أَن يُسمى جسما وَأنكر على من يَقُول بالجسم وَقَالَ إِن الْأَسْمَاء مَأْخُوذَة بالشريعة واللغة وَأهل اللُّغَة وضعُوا هَذَا الاسم على كل ذِي طول وَعرض وسمك وتركيب وَصُورَة وتأليف وَالله تَعَالَى خَارج عَن ذَلِك كُله فَلم يجز أَن يُسمى جسما لِخُرُوجِهِ عَن معنى الجسمية وَلم يجِئ فِي الشَّرِيعَة ذَلِك فَبَطل).

أما من غير عقيدة الإمام أحمد فهو القاضي أبو يعلى، وقد هاجمه ابن العربي وابن الجوزي وابن الأثير، وحتى من دافع عنه وهو ابن تيمية فقال عنه في درء التعارض (5/237) إنه ذكر أحاديث موضوعة كحديث قعود الرسول صلى الله عليه وسلم على العرش، وقال إن في كلامه تناقضا وإنه يوافق النّفاة على نفيهم، ويشارك أهل الإثبات على وجه، ومع ذلك وثقه لأنه يسند أحاديثه، فهل يعجبنا من يعنعن ليضحك علينا ويتلاعب بديننا.

جعل أبو يعلى إمرار آيات الصفات على ظاهرها إثبات الصفات على ظاهرها فقال في "إبطال التأويلات" (1/43) (قال الإمام أحمد: أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين) فانظر إلى التدليس بين نص كلام الإمام وزعم أبي يعلى أنهم حملوها على ظاهرها، وفي عقيدة الإمام الموثقة لم يتكلم عن حديث النزول، ولكن أبا يعلى يقول (فقد صرح أحمد أن العرش لا يخلو منه، وهكذا القول عندنا في قوله {وجاء ربك والملك} الفجر22، والمراد به مجيء ذاته لا على وجه الانتقال) إبطال التأويلات (1/261) فهو يثبت الشيء ونقيضه، فيقول نزول بذاته ثم يقول لا على وجه الانتقال والعرش لا يخلو منه، فماذا تفيدنا كلمة نزول بذاته وكان الأئمة يكرهون الكلام في الصفات، وهو الذي اعتبر الساق صفة لله، فقال في إبطال التأويلات (1/160): (ثبت عن طائفة من السلف كأبي سعيد الخدري وابن مسعود تفسير «الساق» في الآية بساق الله تعالى). وهو الذي زعم أن الضمير في (صورته) عائد على الله فقال في إبطال التأويل (1/88): (وقد صرح أَحْمَد بإبطال القول أن الهاء عائدة عَلَى آدم، فقال فِي رواية أَبِي طالب: من قَالَ إن الله خلق آدم عَلَى صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه)، وكتاب الرد على الجهمية المنسوب للإمام أحمد رجح الذهبي عدم ثبوت نسبة الكتاب له، وكان الإمام مالك يكره الرد على جهم. لكن ابن تيمية وابن القيم نسبا الكتاب للإمام أحمد معتمدين على ابن أبي يعلى في التوثيق. قال ابن القيم "ومما يدل على صحة هذا الكتاب ما ذكره القاضي أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى فقال قرأت في كتاب أبي جعفر محمد بن أحمد بن صالح ابن أحمد بن حنبل قال قرأت على أبي صالح بن أحمد هذا الكتاب فقال هذا كتاب عمله أبي في مجلسه ردا على من احتج بظاهر القرآن وترك ما فسره رسول الله وما يلزم أتباعه" اجتماع الجيوش 131.

إن دور أبي يعلى في تشويه عقيدة الإمام أحمد أدخل عليها شبهة التجسيم فحدثت فتنة ابن القشيري سنة469هـ فقتل وأصيب مسلمون أمام المسجد العباسي ببغداد بسبب اتهام الأشاعرة للحنابلة بالتجسيم، وهذه إحدى الفتن التي يمكن أن تنشط في الأمة بفعل أعدائها، فقد يهاجم غلاة السلفيين عقيدة الأزهر ويقف حكماء السلفيين حيارى أمام ما يرونه نصرة إخوانهم في العقيدة، فلابد من توافق على عقيدة خير القرون والسكوت على ما سكت عنه الصحابة.

[عودة للقمة](#_top)

# آفة الفقه السلفي

إني لست عالما ولكن اهتمامي بما شوه ديننا وشتت أمتنا في العقيدة والفقه جعلني أركز قراءاتي وأبحاثي لسنوات طويلة في هذا الباب فلم أكتف في بحثي بقول عالم حتى أبحث توثيق الكلام عنه وأبحث في أدلته وما يعارضها، وهذا اجتهاد جزئي في هذا الباب يؤهلني للقول فيه بما هداني الله إليه، وقد رجح الاجتهاد الجزئي أكثر الأصوليين ومنهم ابن القيم والشوكاني والإمام الغزالي كما قال الدكتور يوسف القرضاوي على موقعه.

بعض السلفيين أنكر فقه المقاصد وخرج على كل الحكام واستحل الدماء زاعما أن الديمقراطية دين ناقشناهم في [فكر القاعدة](#_فكر_القاعدة)، وبعضهم يرى في عنقه بيعة لأي حاكم وإن كان ظالما يحارب الشريعة ويسميه إمام المسلمين، وقد ذكر الماوردي في "الأحكام السلطانية" أن الْإِمَامَة خِلَافَة النُّبُوَّةِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا، وأول شروطها الْعَدَالَةُ، وَثانِيها الْعِلْمُ الْمُؤَدِّي إلَى الِاجْتِهَادِ فِي النَّوَازِلِ وَالْأَحْكَامِ، فكيف يكون الظالم المحارب للشريعة إماما لا يجوز الخروج عليه، لكن أكثر السلفيين ثار على الظلم مع الثوار ويؤمن بفقه المقاصد الذي أصله ابن القيم والإمام الشاطبي، قال تعالى "وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ" وقال تعالى "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ" فأينما وجد العدل والمصلحة فثم شرع الله.

المشكلة أن أكثر العلماء لم ينتبه لخبث المنافقين رغم أن القرآن فضح عداوة وتنسيق اليهود والمنافقين والمشركين، ومازال التنسيق بينهم قائما مما يؤكد أن القرآن دستور الأمة الخالد. وصف الله المنافقين بأنهم يخادعون المؤمنين ويرونهم سذجا يصدقون أي شيء يقال لهم، وقد آذوا النبي وقالوا هو أذن "وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ" التوبة61، أي يسمع ويصدق أي شيء، لكنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف الصادق من الكاذب، وحذر من نقل كذبهم فروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" وكفاه كذبا وليس إثما تدل على أن يسمع كذبا فعليه ألا ينقله. في صحيح مسلم (جاء بُشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع، فقال ابن عباس: "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف") وهذا في خير القرون فكيف بمن بعده.

كان دور المنافقين على أشده في الدولة الأموية التي مكثت تسعين عاما، وقد رأينا في الدولة العميقة علماء السلطان الذين يتقلبون في نعيمه ويتنافسون لدعم سياساته، ورأينا أن للحكام في النظم المستبدة خطوطا حمراء، وقد صنع عبد الناصر جيلا بأكمله يعتقد أنه أول من حكم مصر بعد الثورة، رغم أن محمد نجيب حكم قرب العامين، ولم يجرؤ والد أن يقول لولده الحقيقة.

بعض العلماء كان يصدق وينقل كذب المنافقين ويظنها أمانة علم حتى نقلوا اتهام أم المؤمنين في شرفها رغم الدرس العظيم بعد حديث الإفك. الإمام البخاري عصمه الله كما عصم أبا أيوب، فقد روى (أن أبا حذيفة تبنى سالما فلما أَنْزَلَ اللَّهُ "ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ‏" جَاءَتْ سَهْلَةُ امْرَأَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ مَا قَدْ عَلِمْتَ) ولم يكمل، لكن ابن حجر غفر الله له تطوع لإكمال الحديث فقال في الفتح: (سَاقَ بَقِيَّته الْبَرْقَانِيّ وَأَبُو دَاوُدَ "فَكَيْفَ تَرَى؟ فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ، فَأَرْضَعَتْهُ خَمْس رَضَعَات فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدهَا مِنْ الرَّضَاعَة فَبِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَة تَأْمُر بَنَات إِخْوَتهَا وَبَنَات أَخَوَاتهَا أَنْ يُرْضِعْنَ مَنْ أَحَبَّتْ عَائِشَة أَنْ يَرَاهَا وَيَدْخُل عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا خَمْس رَضَعَات ثُمَّ يَدْخُل عَلَيْهَا) وروى مسلم روايات بهذا المعنى، فجاء للأسف علماء يقولون إن أحاديث إرضاع الكبير رواها البخاري ومسلم فيعطيها أقوى درجات القوة لأن البخاري عنده أصل الحديث.

نبينا الكريم الذي علم أمته العفة والحياء هل يأمر امرأة أن ترضع رجلا، وبعد أن تقول: كيف أرضعه وهو رجل كبير كما في صحيح مسلم يقول "أعلم أنه كبير" ولا يوضح لها أن تعصر ثديها في كوب كما يقول العلماء، ماذا لو صدّقت كلامه وذهبت لترضع الرجل، أليس الأصل السمع والطاعة "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ" الأحزاب36، ألا يعرف نبينا دلالات الألفاظ وأن الرضاعة هي التقام الثدي ومصه وأن هذا منكر عظيم لو فعلته أجرمت في حق نفسها وزوجها ودينها؟ ألم يكن صلى الله عليه وسلم لا يؤخر البيان عن وقته؟ كيف يغيب عن العلماء أصابع المنافقين لتشويه ديننا؟

وهل تحب أم المؤمنين أن يراها الرجال ويدخلوا عليها، هب أن رجلا نشر في صحيفة أن أم أحدنا إذا أحبت دخول رجل عليها فعلت كذا، أليس ذلك طعنا في شرفها، أقول للمجادل الساذج الذي يدعي أنهم كانوا يدخلون لطلب العلم: هل طلاب العلم يختلون بها وفي حاجة للرضاعة، وهل المدرس يحب دخول طالب علم عليه. أرادت الدولة الأموية تشويه أم المؤمنين لوجودها مع ابن أختها عبد الله بن الزبير الذي استقل بولاية الحجاز والعراق فقد أراد عبد الملك بن مروان بسط نفوذ دولته فأعد العدة، ثم أرسل جيشا إلى مكة حاصر ابن الزبير وقتله، أما أم المؤمنين فكانت فقيهة شريفة رضي الله عنها وانتصرنا لها في بحث مفصل، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يثق فيها فصعد المنبر بعد حديث الإفك وقال "من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا" وأثنى الله على أبي أيوب لأنه لما سمع الإفك لم يسأل عن الرجال الذين تناقلوه بل قال لزوجته بكل ثقة (أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب. قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك) فأنزل الله تعالى "لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ".

كان الفقهاء يعلمون أن الجرح والتعديل جهد بشري غير معصوم لا يكشف عن قلوب الرجال، وقد اختلف البخاري ومسلم في توثيق كثير من الرجال، في صحيح مسلم شرح النووي (1/15) (فإذا كان الحديث رواته كلهم ثقات غير أن فيهم أبا الزبير المكي مثلا أو سهيل بن أبي صالح أو العلاء بن عبد الرحمن أو حماد بن سلمة قالوا فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم وليس بصحيح على شرط البخاري لكون هؤلاء عند مسلم ممن اجتمعت فيهم الشروط المعتبرة ولم يثبت عند البخاري ذلك فيهم، وكذا حال البخاري فيما خرجه من حديث عكرمة مولى بن عباس وإسحاق بن محمد الفروي وعمرو بن مرزوق وغيرهم ممن احتج بهم البخاري ولم يحتج بهم مسلم قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري في كتابه المدخل إلى معرفة المستدرك عدد من خرج لهم البخاري في الجامع الصحيح ولم يخرج لهم مسلم أربعمائة وأربعة وثلاثون شيخا وعدد من احتج بهم مسلم في المسند الصحيح ولم يحتج بهم البخاري في الجامع الصحيح ستمائة وخمسة وعشرون شيخا والله أعلم)

لهذا رأى العلماء أن حديث الآحاد ظني الثبوت لكنهم قالوا بوجوب العمل به ما لم يكن شاذا أو معلولا فيؤلونه أو يخصصونه أو يقيدونه ولا يعملون به، لذا أجمع الأئمة الأربعة رغم بلوغهم أحاديث إرضاع الكبير على أن الرضاع ما كان في الصغر وأن إرضاع الكبير لا يثبت محرمية وأن الحديث خاص بسالم وأن سهلة عصرت ثديها في كوب وأعطته سالما، فهم يحترمون ثوابت العقول، سواء من ينسب لمدرسة العقل كالإمام أبي حنيفة أو لمدرسة النقل كالإمام أحمد، كلهم يعلمون [مكانة العقل](#_مكانة_العقل) فلم يعملوا ببعض الأحاديث ولكن تركوها حبيسة الكتب.

أما السلفيون فرأوا أن خروج الألفاظ عن ظاهرها لا يجوز لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ما يطلق من ألفاظ وهو يشرع فلا نخصص إلا بدليل فلو أراد التخصيص لخصص ولو أراد التقييد لقيد لأنه لا يؤخر البيان عن وقته، وكل هذا حق، لكن آفتهم أنهم اتبعوا ابن الصلاح وظنوا قطعية ثبوت أحاديث الآحاد فحملوا ما يخالف ثوابت العقول على ظاهره وقالوا بفساد العقل إذا خالف النقل، لذا أفتى الشيخ الحويني وعلماء الظاهرية كابن حزم بجواز إرضاع الكبير عند الضرورة وأن الرضاع بالتقام الثدي ومصه ولم يسمح أحدهم لعقله أن يفكر كيف يرضع الرجل هل ينام بجوارها أم يجلس على حجرها؟ وما حكم الرضاع قبل إتمام الخمسة؟

الغريب أن ابن الصلاح لم يقصد إثبات صحة الأحاديث، ففي صحيح مسلم شرح النووي (1/12) أنه قال (اعلم أن الرواية بالأسانيد المتصلة ليس المقصود منها في عصرنا وكثير من الأعصار قبله إثبات ما يروى إذ لا يخلو إسناد منها عن شيخ لا يدري ما يرويه ولا يضبط ما في كتابه ضبطا يصلح لأن يعتمد عليه في ثبوته وإنما المقصود بها إبقاء سلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة) فهل نشوه ديننا ونطعن في شرف أم المؤمنين للحفاظ على سلسلة الإسناد التي خُصت بها هذه الأمة؟ ثم رد النووي على قول ابن الصلاح بقطعية ثبوت أحاديث الآحاد فقال ص19 (وهذا الذي ذكره الشيخ في هذه المواضع خلاف ما قاله المحققون والأكثرون فإنهم قالوا أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة إنما تفيد الظن فإنها آحاد والآحاد إنما تفيد الظن على ما تقرر ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك وتلقي الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما، ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم) كما ذهب ابن عبد البر في التمهيد أيضا إلى أن هذا ما عليه أكثر أهل العلم.

المنهج الحق أن حديث الآحاد ظني الثبوت يجب العمل به دون العلم اليقيني بصحته، فإن كان الحديث معلولا فأوله العلماء ولم يعملوا به صار لا يوجب علما ولا عملا فيجب رده ورد أي حديث يشوه ديننا ولا يبنى عليه عمل لسببين: الأول أن العلماء الأوائل تركوه في الكتب لا يعرفه العوام، أما الآن فقد استغله أعداء الأمة لتصوير أننا أمة لا تعقل، شاهدت تمثيلية ألمانية على اليوتيوب فيجلس شاب على حجر امرأة يرضع منها ثم تدخل ابنتها فتذهل، فتقول لها الأم لا حياء في الدين يا ابنتي هذا سيصبح أخاك بعد خمس رضعات السبب الثاني أن بعض من قل فقههم أو خبث قصدهم ألغوا عقولهم فحملوها على ظاهرها فشوهوا ديننا، وقد رأينا رئيس قسم الحديث الذي أفتى بجواز إرضاع السكرتيرة لرئيسها في العمل إذا اضطرت للخلوة به، ولما فصلته جامعة الأزهر أعادته المحكمة لأنه يتحدث بأحاديث صحيحة، وإن كان إلغاء العقل في بعض الأحاديث يشوه ديننا فإلغاؤه أمام أحاديث أخرى يضلل العبد أو يدمر الأمة.

هذا المنهج الحق أراده الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وعليه أدلة قوية وأمثلة من فعل أم المؤمنين وابن عباس وأقوال العلماء، إلا أنه توسع في باب العلل التي ترد الحديث فأدخل فيها مخالفة المواثيق العالمية لحقوق الإنسان والمرأة وغير ذلك ففتح على نفسه نارا لا تميز فلم تأخذ بما أصاب من حق، لذا رأى سلمان العودة في "حوار هادئ مع محمد الغزالي" أنه يفكر تحت ضغوط العصر ليوفق بين نصوص الشرع والفكر الغربي المعاصر، أما رد الحديث المعلول ظني الثبوت الذي لم يعمل به العلماء فأولوه أو خصصوه فهذا هو المنهج الحق لأن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يعرف ما يطلق من ألفاظ ولا يؤخر البيان عن وقته، فإذا كانت الألفاظ غير لائقة ومخالفة لثوابت العقل والشرع فلم يعمل بها العلماء دل ذلك على استحالة صدورها عنه صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ الغزالي إن أم المؤمنين عائشة كانت ترد ما تراه مخالفا للقرآن، ففي الصحيحين عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" فلما مات عمر ذكر ذلك لعائشة فقالت: "رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه" وقالت: حسبكم القرآن "ولا تزر وازرة وزر أخرى"، فالعلماء قبلوا الحديث بتأويل أو تقييد ولم يأخذوه على ظاهره فقال بعضهم يعذب بمعنى يتألم وقال آخرون يعذب إذا كان من أهل هذه البدعة، لكن أم المؤمنين ردت الحديث بقوة وأقسمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله لمخالفته للقرآن، فهي وريثة فقه النبوة وتعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ما يطلق من ألفاظ ولو أراد يتألم ما قال يعذب ولو أراد تقييد العذاب لقيده، قال السيوطي في "تدريب الراوي" (إن الوضع يعرف بقرينة في الراوي أو المروي، وذكر قول ابن الجوزي: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع).

[عودة للقمة](#_top)

# السلفيون ومكانة العقل

العقل ملكة التمييز وسر التكليف، به يعرف الإنسان الحق من الباطل، وبه يقيس المصالح والمفاسد التي عليها  مدار الشرائع، وبه يدرك القرائن لتأويل النصوص، لذا حثنا الله أن نعقل، وجعل إلغاء العقل سبب الضلال "وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ"

قال ياسر برهامي في شرح كتاب (منة الرحمن): (قضية تقديم النقل على العقل من أهم مسائل الاتباع ومن قواعد أهل السنة والجماعة) ثم يسأل: هل يمكن أن يأتي الحديث بما يخالف العقل؟ ويجيب (العقل الصحيح هو عقل أهل الإيمان لأنهم هم الذين يعقلون ... فنحن نقصد تقديم النقل الصحيح على العقل الفاسد المخطئ الذي ليس له ضابط ... ونحن أصلاً لا نجوز حصول تعارض بين العقل الصحيح وبين النقل الصحيح ولكن يتوهم شيء من ذلك وعند التوهم يكفينا تقديم النقل الصحيح ونعرف فساد العقل بوجود النقل)

وقوله إنه يقصد عقول الكفرة غريب فكيف يقدم المسلم النقل على عقل غيره لاشك أنه سيقدمه على عقله هو إن توهم تعارضا، وهذا له أثر نفسي خطير يجعل السلفي يشعر أنه أكثر تعبدا وقربا من الله إذا استسلم لما يخالف ثوابت العقول دون تأكد من قطعية الثبوت والدلالة أو تفرقة بين الأوامر التعبدية والتشريعية، فالأصل في التعبدية أنها غير معلولة، أما التشريعية فمعلولة ومدارها على درء المفاسد وتحقيق المصالح، وهذا أهل السلفيين للجمود والانحراف.

الانقياد لأمر تعبدي يخالف العقل ولا ندرك حكمته لا نستدل به على فساد العقل، فعندما استسلم سيدنا إبراهيم لأمر الله بذبح ولده لم يستدل بذلك على فساد عقله، بل هي حقيقة الإسلام، ولكن يشترط قطعية الثبوت والدلالة فرؤيا الأنبياء حق، ولما قبل عمر الحجر الأسود قال كما في صحيح البخاري "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك" فالرؤية بالنسبة لعمر تعني بالنسبة لنا قطعية الثبوت.

إن إلغاء العقل أمام نقل يخالف ثوابت العقل والشرع وزعم فساد العقل جهل وضلال شوه ديننا وأساء لشريعتنا، فالواجب تمحيص النقل هل هو قطعي الثبوت والدلالة أم لا، ثم النظر في الأدلة المعارضة والقرائن التي تخصص عموم الدليل أو تقيد مطلقه، ثم النظر في مآلات الفعل والمفاسد التي قد تترتب عليه فترده أو تمنع العمل به إن كان ظني الثبوت أو تؤوله إن كان ظني الدلالة، ومثال عدم العمل بظني الثبوت إن خالف العقل والشرع أحاديث إرضاع الكبير كما ذكرنا في [آفة الفقه السلفي](#_آفة_الفقه_السلفي)، ومثال عدم العمل بظني الدلالة تزويج الصغيرة.

ما جعل الله العصمة لأحد، والعلماء ينقل بعضهم عن بعض فالعبرة بتمحيص الأدلة وليست بكثرة نقول العلماء. وأحيانا يدّعى العالم الإجماع بالظن فالشيخ ابن عثيمين في رسالته في العقيدة زعم إجماع أهل السنة أن لله عينين اثنتين حقيقيتين، ولا نرى على ذلك دليلا من قرآن أو سنة ولا قاله صحابي أو تابعي فضلا عن الإجماع وقد رددنا على ذلك في [فتنة العقيدة](#_السلفيون_وفتنة_العقيدة)، وقاعدة العلماء في ذلك أن الشيخ رحمه الله حبيب إلى قلوبنا، وقد ساعدنا على إدراك الحق في حكم تزويج الصغيرة بقوة مخالفته للعلماء حين أدرك مفاسد ووجد الدليل ظنيا، لكن الحق أحب إلينا منه، والحق أحق أن يتبع.

لقد أجاز العلماء تزويج الصغيرة، ثم أدرك الشيخ ابن عثيمين مفاسد وأن بعض الآباء ظلم ابنته بالزواج بمن تكره، وبعضهن هددن بحرق أنفسهن إن لم يطلقها أبوها. والشيخ يعلم أن دليل العلماء ظني فخالفهم بقوة الفقيه الحاذق، ومن روائع كلامه (فإذا كان الأب لا يملك أن يبيع أدنى شيء من مالها إلا برضاها فكيف يملك أن يبيع نفسها بغير رضاها) فالمرأة إذا زوجت وطلقت وهي قاصر يكون الظلم الواقع عليها أشد من أخذ مالها وهي قاصر.

دليل العلماء على تزويج الصغيرة قوله تعالى في عدة المطلقة "وَاللَّائِى لَمْ يَحِضْنَ" فظنوا أن المرأة تزوجت وطلقت وهي لم تحض فلابد أنها صغيرة لم تبلغ، لكن قوله تعالى "وَاللَّائِى لَمْ يَحِضْنَ" يحتمل أن يقصد به الطفلة أو البالغة، وقاعدة الأصوليين أنه إذا وجد الاحتمال سقط الاستدلال، وبالتمعن نرجح أن المقصود البالغة لسببين:

الأول: استخدام الحرف "لم" الذي يفيد النفي مع عدم توقع الحيض، فلو كان المقصود (الطفلة) كان الأولى أن تستخدم "لما" لتوقع الحيض وانتظاره.

الثاني: اختيار كلمة "اللائي" بدلا من "اللاتي" فهي مشتقة من اللأي وهو (التعب والجهد والمشقة والإبطاء والاحتباس) وقد ذكرت "اللائي" في ثلاث مواضع: في قوله تعالى "إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ" المجادلة2، لأن الولادة مصحوبة بجهد ومشقة، وقوله تعالى "وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ" الطلاق4، فاليأس من الحيض مصحوب بأعراض ومشقة، أما "وَاللَّائِى لَمْ يَحِضْنَ" فعدم حيض الطفلة لا يسبب جهدا ومشقة فلو كانت المقصودة الطفلة لقال تعالى "واللاتي"، أما "اللائي" فتدل على أن المقصود البالغة التي تأخر حيضها، فقد يتأخر لسبب يمنعه أو يبطئه (إبطاء) أو يأتيها حيض ولكن غشاء البكارة غير مثقوب خِلْقيا فيحتبس الحيض (احتباس) فالبالغة التي لم تحض تعاني إبطاء أو احتباسا وتعبا نفسيا أو عضويا فناسبها استخدام "اللائي" لجمعها كل معاني اللأي.

أما تزويج السيدة عائشة قبل البلوغ فقد أشار ابن عثيمين إلى قول ابن حزم وابن شبرمة أنه خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما يدعم الخصوصية أنه تم بوحي فقد رأى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم السيِّدة عائشة في المنام وأخبَرَه الملك أنها زوجته، ففي صحيح مسلم عن عائشة أنها قالَتْ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُرِيتُك في المَنامِ ثلاثَ ليالٍ جاءَني بكِ المَلَكُ في سَرَقَةٍ من حريرٍ فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنتِ هي، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمضِهِ)، فقوله صلَّى الله عليه وسلَّم (إن يكُ هذا من عند الله يُمضِهِ) تأكيد على الخصوصية وأنه ينفذ بإرادة الله.

[عودة للقمة](#_top)

# السلفية الجهادية وفكر القاعدة

إذا كان الغلو السلفي شكل رصيدا أحسن مبارك استغلاله ليتجاوز الشعب عن فساده فقد شكلت السلفية الجهادية رصيدا أحسنت إسرائيل استغلاله ليتجاوز الغرب عن غطرستها وظلمها.

لقد تعاطفنا مع الأفغان ضد روسيا وحاولت السفر إليهم مرتين حين استغاثوا بأطباء المسلمين ولكني فشلت، ثم صدمني قول سياف ليلة سقوط كابول إن أول خطوة بعد دخول كابول هي تحرير القدس، شعرت أنهم لا يفهمون شيئا في السياسة بإعلان حرب وإثارة عداوات وهم في غاية الضعف ومنقسمون إلى سبعة أحزاب وأمامهم عشرات السنين لبناء أفغانستان، ثم توالى الجهل ودمروا دولتهم.

العبادة والجهاد بلا علم وتخطيط وسياسة أمر خطير، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوارج كما في صحيح البخاري بقوله "يخرُجُ فيكم قومٌ تَحقِرونَ صلاتَكم معَ صلاتِهم، وصيامَكم معَ صيامِهم، وعملَكم معَ عملِهم يَمرُقونَ منَ الدينِ كما يَمرُقُ السهمُ منَ الرمِيَّةِ"، وأنا لا أكفرهم في زمن الجهل والفتن ولكني أحذرهم ضعف البصيرة والعلم، وأتمنى أن يفقهوا دينهم ويكونوا عامل بناء للأمة لا عامل هدم.

أخشى ما أخشاه قبل حديثي معهم هو الجانب النفسي الذي يجعل الإنسان يظن أننا سندمر جهاده ونصده عن طريق ضحى فيه واستشهد فيه أحبابه، لذا أؤكد لهم أن دعوتنا لاستيعاب السياسة الراشدة تتوج جهادهم وتبشرهم بفتح عظيم، عليهم أن يستوعبوا فهم سورة الفتح ليعلموا أن سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وتنازله وتفاوضه مع أعدائه الذي أبكى صحابته ظنا منهم أنهم يقبلون الدنية في دينهم كان وراء الفتح المبين.

رغم قدرة الله على نصرة دينه بلا أسباب فقد أراد أن تكون سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم دروسا وقدوة للمسلمين حين تتشابه الظروف، فحين كان المسلمون مستضعفين قبل الهجرة كان القرآن ينزل يأمرهم بالصبر وتحمل الأذى، فلم يشكلوا عصابة لاغتيال أئمة الكفر ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يبحث عن أرض تحمي الدعوة، إنها سنة الأسباب وقياس العدة والعتاد، وفي المدينة بعد تحقيق انتصارات ظن المسلمون ألا سياسة مع العدو الذي أخرجهم من ديارهم ولا مهادنة فجاء أمر العليم الخبير "فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا" ولما غضب المسلمون من التنازل أنزل الله سكينته عليهم وألزمهم كلمة التقوى وجنبهم حمية الجاهلية ليثقوا أن الصلح فتح مبين، فعجب أحد الصحابة وسأل (أو فتح هو) فقال صلى الله عليه وسلم "إي والذي نفسي بيده إنه فتح" ففتحت خيبر ثم مكة.

لا فقه بدون قياس المصالح، قال الشاطبي (الموافقات 4/194) إن النظر في مآلات الأفعال معتبر شرعا فقد يكون الفعل مباحا ولكن يحرم لأنه يؤدي إلى مفسدة، وشرح ابن القيم ذلك فقال إن الله حرم سب الآلهة رغم أنه مباح حتى لا يسب المشركون الله "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ" فكيف إذا كان الفعل محرما ويؤدي إلى مفسدة. إن فتوى ابن لادن عام 1998 بقتل الأمريكان المدنيين في أي مكان في العالم واضحة البطلان عظيمة الشر مع احترامنا لجهاده لكنه بشر يخطئ ويصيب وقد ظن أنه بذلك سيثني أمريكا عن سياستها العدائية للعالم الإسلامي لكنه دعمها ([استراتيجية العلاقات الدولية](#_استراتيجية_العلاقات_الدولية))، ثم ألا يوجد أمريكان مسلمون انضموا لتنظيم القاعدة، كيف نميز الأمريكي إن كان يدفع الضرائب وراض عن السياسة الأمريكية أم لا، وإذا ضربت مصر العراق كما حدث في حرب الخليج فهل يفتي علماء العراق للمسلمين بقتل كل مصري مدني في أي مكان في العالم.

ذكرنا في [الحق والباطل](#_الحق_والباطل) خطورة سيطرة أهل الباطل في نشر الفتن وأن الله أراد إزالة حكمهم لإزالة الفتن عن الشعوب وإعطائها فرصة لرؤية الحق. وذكرنا في [استراتيجية العلاقات الدولية](#_استراتيجية_العلاقات_الدولية_1) أن التبرؤ من المشركين مقصود به المحاربين منهم وأن الله يحب القسط وبر غير المحاربين فكيف يرضى الله بقتلهم بذنوب حكامهم في أي مكان في العالم وليسوا في صفوف المحاربين.

آفة أخرى للسلفيين وهي أنهم يثقون في كل من يعفي لحيته ويتكلم في التوحيد والجهاد فيسهل اختراقهم من الموساد وغيره فيعملون تحت راية عمية وإمرة عميلة، وهناك علامات استفهام على أنشطة بعضهم كتنظيم جند الشام بمخيم عين الحلوة الذي كان يغتال قيادات فتح لأنها علمانية ثم اغتيل آخر قادته غاندي السحمراني من أقرب المقربين إليه بعد تعذيبه في ظروف غامضة ليخفي أسرارا لا يعرفها أحد، والذين قتلوا الجنود المصريين في رفح فحمت إسرائيل جثثهم حتى لا يعرف سرهم أحد.

أما زعم أن الديمقراطية دين وتكفير النظم واستحلال قتل جنودها ففيه تلبيس، فالحكم على شيء فرع عن تصوره، والديمقراطية وإن كان تعريفها حكم الشعب نفسه بنفسه إلا أنه لا يوجد شعب يحكم نفسه بنفسه وإلا كانت فوضى، فحقيقتها اختيار الشعب رئيسه وبرلمانه، واختيار الشعب رئيسه هو هدي نبينا صلى الله عليه وسلم فلم يوص بخليفة وترك الأمر للمسلمين من بعده وكذلك فعل علي رضي الله عنه، أما البرلمان التشريعي فقد أمر الله برد التشريع للعلماء المجتهدين فقال تعالى"وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ"، واختيار الحاكم للعلماء يجعل الأمر رهن هواه، وليس عندنا حاكم كعمر يختار العلماء الثقات ليكونوا أهل مشورته، فانتخاب أساتذة الأزهر لجنة علماء لمجلس الشورى أقرب للحق وأبعد عن الهوى، قال ابن القيم إن مقصد الشريعة إقامة العدل، فأي طريق استخرج به العدل فهو من الدين (أعلام الموقعين 4/284)، وعرف السياسة الشرعية في كتابه (الطرق الحكمية) بقول ابن عقيل (السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نزل به وحي).

لو تاب تنظيم القاعدة إلى الله من ذنوب الذين قتلوهم بغير حق ولم تأخذهم العزة بالإثم، وسألوا الله أن يلزمهم كلمة التقوى ثم أعلنوا عن تغيير سياستهم وقبول الصلح والتفاوض لصاروا قاب قوسين أو أدنى من استعادة أفغانستان لبنائها وتشكيل حلف سني قوي مع باكستان يستطيع الحفاظ على مصالحه، فالشعب الأفغاني الذي جاهد وعانى يتوق إلى بناء دولته وترابط شعبه على الإسلام الوسطي، وسيختار عبر نظام ديمقراطي أقرب الأحزاب للوسطية والسياسة الرشيدة، فالحق في فطرته، كما سيختار للبرلمان أهل العلم الديني والدنيوي ([فلسفة البناء الحضاري](#_فلسفة_البناء_الحضاري)) بهذا تستقر الدولة ويكون للعالم الإسلامي موقع قدم على الساحة الدولية.

[عودة للقمة](#_top)